

(١٥١٠)

المناسبات من التمهيد

لشرح كتاب التوحيد

للشيخ صالح آل الشيخ

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٦هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

WWW.NSOOOS.COM

ـــــــ هنا – في مراد الشارع –: هو الشرك، فيكون مقصود الشيخ من إيراد هذه الآية تحت هذا الباب: بيان فضل من آمن ووحد، ولم يلبس إيمانه وتوحيده بشرك، وأن له الأمن التام، والاهتداء التام؛ فهذا هو وجه مناسبة الآية للباب. ومعنى الآية: الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بشرك أولئك لهم الأمن وهم مهتدون.

وجاء الظلم في الآية منكرا، في سياق النفي، وهو قوله تعالى ﴿ولم يلبسوا﴾ [الأنعام: ٨٢] وهذا يدل على عموم أنواع الظلم، لكن هل المراد بالعموم هنا العموم المخصوص، أو العموم الذي يراد به الخصوص؟ الجواب: أن المراد بالعموم هنا: هو العموم الذي يراد به الخصوص؛ لأن العموم عند الأصوليين تارة يكون باقيا على عمومه، وتارة يكون عموما مخصوصا يعني دخله التخصيص، وتارة يكون عموما مرادا به الخصوص يعني أن لفظه عام، ولكن يراد به الخصوص فهذه أوجه ثلاثة، والوجه الأخير هو الذي أراد الشيخ – رحمه الله – الاستدلال به من الآية. صحيح أن (الظلم) هنا جاء نكرة في سياق النفي (لم) : فيدل على العموم، لكنه عموم مراد به الخصوص؛ وهو خصوص أحد أنواع الظلم كلها؛ لأن من أنواع الظلم: ظلم العبد نفسه بالمعاصي، أو ظلم العبد غيره بأنواع التعديات، ومنه ما هو ظلم من جهة حق الله – جل وعلا – بالشرك به، فهذا هو المراد بهذا العموم، فيكون عاما في أنواع الشرك، وبهذا يحصل وجه الاستدلال من الآية، فيكون معنى الآية: ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم﴾ [الأنعام: ٨٢] يعني لم يلبسوا توحيدهم بنوع من أنواع الشرك.." (١)

". . . . .

ـــــــ ﴿أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾ [الأنعام: ٨٢] ف (الأمن) هنا: هو الأمن التام في الدنيا، والمراد به أمن القلب وعدم حزنه على غير الله – جل وعلا – والاهتداء التام في الدنيا وفي الآخرة، وكلما وجد نقص في التوحيد بغشيان العبد بعض أنواع الظلم الذي هو الشرك، إما الشرك الأصغر، أو الشرك الخفي، وسائر أنواع الشرك، ونحو ذلك، ذهب منه من الأمن والاهتداء بقدر ذلك. هذا من جهة تفسير الظلم بأنه الشرك.

فإذا فسرت الظلم بأنه جميع أنوع الظلم – كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية – فإنه يكون – على هذا التفسير – مقابلة بين الأمن والاهتداء، وبين حصول الظلم، فكلما انتفى الظلم: وجد الأمن والاهتداء، وكلما

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص/٢٤

كمل التوحيد وانتفت المعصية: عظم الأمن والاهتداء، وإذا زاد الظلم: قل الأمن واهتداء بحسب ذلك.

قال: (وعن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله: صلى الله عليه وسلم «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق، والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل» أخرجاه) (١) .

مناسبة هذا الحديث للباب قوله: «على ما كان من العمل» ومعنى قوله: «على ما كان» يعني على الذي كان عليه من العمل ولو كان مقصرا في العمل وعنده ذنوب وعصيان، فإن لتوحيده لله، وشهادته له بالوحدانية، ولنبيه

---

(١) تقدم.." (١)

". . . . .

ـــــــ وحديث البطاقة يدلان على أن (لا إله إلا الله) لا يقابلها ذنب، ولا تقابلها خطيئة، لكن هذا في حق من كملها وحققها، بحيث لم يخالط قلبه - في معناها - ريب، ولا تردد ومعناها مشتمل على الربوبية بالتضمن، وعلى الأسماء والصفات باللزوم، وعلى الإلهية بالمطابقة، فيكون من ينتفع بهذه الكلمة على وجه الكمال - ولو بلغت ذنوبه ما بلغت، وكانت سجلاته كثقل السماوات والأرضين السبع - هو الذي كمل ما دلت عليه من التوحيد وهذا معنى هذا الحديث، وحديث البطاقة، وهذا أيضا هو الذي دل عليه الحديث الآخر الوارد في الباب نفسه عن أنس قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «قال الله تعالى: يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة» (١) وهذا من فضل التوحيد وتكفيره الذنوب.

ومناسبة هذا الحديث للباب ظاهرة، وهي: أنه من أتى بذنوب عظيمة، ولو كانت كقراب الأرض خطايا يعني كعظم وقدر الأرض خطايا، ولكنه لقي الله لا يشرك به شيئا: لأتى الله ذلك العبد بمقدار تلك الخطايا مغفرة، وهذا لأجل فضل التوحيد، وعظم فضل الله - جل وعلا - على عباده بأن هداهم إليه، ثم أثابهم عليه.

هذا الباب هو: " باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب " وقد ذكر في الباب قبله فضل التوحيد،

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص/٢٥

وما يكفر من الذنوب، وهذا الباب أرفع رتبة من بيان فضل التوحيد فإن فضل التوحيد يشترك فيه أهله، وأهل التوحيد هم أهل الإسلام، ولا شك أن لكل مسلم نصيبا من التوحيد، فيكون له – تبعا لذلك – نصيب من فضل التوحيد، وتكفير الذنوب، أما خاصة هذه الأمة فهم الذين حققوا التوحيد؛ ولهذا عطف هذا الباب على الذي قبله؛ لأنه أخص. وتحقيق التوحيد هو مدار هذا الباب، وتحقيقه بمعنى تحقيق

---

(١) تقدم.. " (١)

". . . . .

ــــــ أن أهل تحقيق التوحيد قليل وليسوا بكثير، ولهذا جاء عددهم في هذا الحديث بأنهم سبعون ألفا، وقد جاء في بعض الروايات عند الإمام أحمد وعند غيره بأن الله – جل وعلا – أعطى النبي صلى الله عليه وسلم مع كل ألف من السبعين سبعين ألفا (١) فيكون العدد قرابة خمسة ملايين من هذه الأمة، فإن كان ذلك الحديث صحيحا – وقد صحح إسناده بعض أهل العلم – فإنه لا يكون للعدد في هذا الحديث مفهوم، أو كان ذلك قبل سؤال النبي صلى الله عليه وسلم أن يزاد في عدد أولئك الذين حققوا التوحيد. فإن قيل: ما معنى أن يزاد في عددهم؟ فالجواب: أن المعنى أن الله – جل وعلا – يمن على أناس من هذه الأمة – غير السبعين ألفا – ممن سيأتون بعد، فيوفقهم لعمل تحقيق التوحيد؛ فالله – جل وعلا – هو الذي يوفق، وهو الذي يهدي، ثم ه و الذي يجازي. فما أعظمه من محسن، بر، كريم، رحيم.

كل من حقق التوحيد فلا بد أن يخاف من الشرك؛ ولهذا كان سيد المحققين للتوحيد محمد – عليه الصلاة والسلام – يكثر من الدعاء بأن يبعد عنه الشرك، وكذلك كان إبراهيم – عليه السلام – يكثر من الدعاء؛ لئلا يدركه الشرك، أو عبادة الأصنام.

فمناسبة هذا الباب لما قبله ظاهرة، وهي أن تحقيق التوحيد عند أهله لا بد أن يقترن معه الخوف من الشرك، وقل من يكون مخاطرا بتوحيده أو غير خائف من الشرك، ويكون مع هذا على مراتب الكمال، بل لا يوجد. فكل محقق للتوحيد، وكل راغب فيه حريص عليه: يخاف من الشرك، وإذا خاف من الشرك فإن الخوف الذي هو فزع القلب وهلعه، يجعل العبد حريصا كل الحرص على البعد عن الشرك والهروب منه والخوف من الشرك يثمر ثمرات منها:

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص/٢٩

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢ / ٣٥٩) والبيهقي في الشعب (٤١٦) .." [1]

". . . . .

ـــــ التفريق بين الشرك الأصغر مع العلم، والشرك الأصغر مع الجهل؛ ولذا قال: «أعوذ بك أن أشرك بك شيئا أعلمه» ؛ لأن أمر الشرك الأصغر مع العلم عظيم فيجب أن يستعيذ المرء بالله من أن يشرك به شركا أصغر فما هو أعلى منه من باب أولى، وهو يعلم.

ثم قال: «وأستغفرك مما لا أعلم» ؛ قد يقع في الشرك الأصغر أو الخفي، وهو لا يعلم، ويظهر شيء من ذلك على فلتات لسانه، وهو لا يقصد، ولمثل ذلك شرع هذا الدعاء.

فهذا يدل على أن الشرك أمره عظيم، فلا يتهاونن أحد بهذا الأمر؛ لأن من تهاون بالشرك وبالتوحيد، فإنه يكون، فإنه يكون متهاونا بأصل دين الإسلام، بل يكون متهاونا بالذي دعا إليه النبي صلى الله عليه وسلم في مكة سنين عددا، بل يكون متهاونا بدعوة الأنبياء والمرسلين؛ فإنهم اجتمعوا على شيء واحد، وهو العقيدة، وتوحيد العبادة والربوبية والأسماء والصفات، وأما الشرائع فشتى.

لهذا وجب عليك الحذر كل الحذر من الشرك بأنواعه، وأن تتعلم ضده، وأن تتعلم أيضا أفراد الشرك، وأفراد التوحيد، وبذلك يتم العلم، ويستقيم العمل. وأما تعلم ذلك على وجه الإجمال، فهذا كما يقال: نحن على الفطرة، لكن إذا أتت الأفراد فربما رأيت بعض الناس يخوضون في بعض الأقوال أو الأعمال التي هي من جنس الشرك، وهم لا يشعرون؛ وذلك لعدم خوفهم وهربهم من الشرك، نسأل الله جل وعلا العفو والعافية.

فاحرص - إذا - على تعلم هذا الكتاب ومدارسته، وعلى كثرة مذاكرته، وفهم ما فيه من الحجج والبينات؛ لأنه أفضل ما تودعه صدرك، بعد كتاب الله - جل وعلا - وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، فلعله أن يكون - إن شاء الله - سببا عظيما من أسباب النجاة والفلاح.

هذا الباب هو " باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله "، أي: باب الدعوة إلى التوحيد. وقد ذكر في الباب قبله الخوف من الشرك، وقبله ذكر فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب، و" باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب ". ولما ذكر بعده الخوف من الشرك: اجتمعت معالم حقيقة التوحيد في نفس الموحد، فهل من اجتمعت حقيقة التوحيد في قلبه: بأن عرف فضله، وعرف معناه، وخاف من الشرك،

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص/٤١

واستقام على التوحيد، وهرب من ضده، هل يبقى مقتصرا بذلك على نفسه، ويضن به على غيره، وهل تتم حقيقة التوحيد في قلبه إلا بأن يدعو إلى حق الله الأعظم، ألا وهو إفراده – جل وعلا – بالعبادة وبما يستحقه – سبحانه وتعالى – من نعوت الجلال، وأوصاف الجمال؟؟! .

بوب الشيخ – رحمه الله – بهذا الباب؛ ليدل على أن من تمام الخوف من الشرك، ومن تمام التوحيد: أن يدعو المرء غيره إلى التوحيد؛ فإنه لا يتم في القلب حتى تدعو إليه، وهذه حقيقة شهادة أن لا إله إلا الله؛ لأن الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله علمت حيث شهد العبد المسلم لله بالوحدانية بقوله: أشهد أن لا إله إلا الله، وشهادته معناها: اعتقاده ونطقه وإخباره غيره بما دلت عليه، فلا بد – إذا تحقيقا للشهادة، وإتماما لها – أن يكون المكلف الموحد داعيا إلى التوحيد؛ لهذا ناسب أن يذكر هذا الباب بعد الأبواب قبله، ثم إن له **مناسبة** أخرى لطيفة، وهي: أن ما بعد هذا الباب هو تفسير للتوحيد وبيان لأفراده، وتفسير للشرك وبيان لأفراده، فتكون الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا." (١)

". . . . .

ـــــــ وقوله تعالى: أنا ومن اتبعني يعني: أدعو أنا إلى الله وكذلك من اتبعني ممن أجاب دعوتي، فإنهم يدعون إلى الله أيضا على بصيرة، وهذا أيضا من **مناسبة** إيراد الآية تحت هذا الباب؛ لأن أتباع النبي صلى الله عليه وسلم يدعون إلى الله.

فالمتبعون للرسل – عليهم الصلاة والسلام – والموحدون لله: لا بد لهم من الدعوة إلى الله، بل هذه صفته صلى الله عليه وسلم وصفتهم التي أمر الله نبيه أن يخبر عنها، فقال (قل) يعني: يا محمد: ﴿هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني﴾ [يوسف: ١٠٨] فهذه إذا خصلة أتباع الأنبياء الذين لم يخافوا من الشرك فحسب، ولم يعلموا التوحيد ويعملوا به فحسب، بل دعوا إلى ذلك، وهذا أمر حتمي ولازم؛ لأن من عرف عظم حق الله – جل وعلا – فإنه يغار على حق الرب سبحانه وتعالى، وكيف لا يغار على مولاه، وعلى حق من أحبه فوق كل محبوب من أن يكون توجه الخلق إلى غيره بنوع من أنواع التوجهات؟! . فلا بد أن يدعو إلى أصل الدين وأصل الملة الذي اجتمعت عليه الأنبياء والمرسلون، ألا وهو توحيده – جل وعلا – في عبادته، وفي ربوبيته، وفي أسمائه وصفاته – جل وعلا وعز سبحانه –.

ثم ساق الإمام – رحمه الله – حديث ابن عباس أنه قال: لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم معاذا إلى اليمن قال: «إنك تأتي قوما من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله» وفي

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص/٥٨

رواية: «إلى أن يوحدوا الله» : هذا موطن الشاهد، وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر معاذا أن يكون." (١)

". . . . .

ـــــ الثاني: بنصب قوله: (أول) على أنه خبر لـ (يكن) مقدم، ورفع قوله (شهادة) على أنه اسمها مؤخر، فيكون المعنى على هذا الوجه: الإخبار عن الشهادة بأنها أول ما يدعى إليه. وهذان الوجهان جائزان. والمشهور هو الوجه الثاني يعني: بجعل (أول) منصوبة؛ وذلك لأن مقام ذكر الشهادة والابتداء بها هو الأعظم، وهو المقصود؛ ليلتفت السامع والمتلقي - وهو معاذ - إلى ما يراد منه أن يخبر به من جهة الشهادة.

فموطن الشاهد من هذا الحديث، **ومناسبة** إيراده في الباب: هو ذكر أن التوحيد هو أول ما يدعى إليه، وهو شهادة أن لا إله إلا الله.

ثم ساق في الباب أيضا حديث سهل بن سعد الذي في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر: «لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، يفتح الله على يديه، فبات الناس يدوكون ليلتهم» . . . .

قوله: (بات) البيتوتة هي: المكث في الليل سواء أكان نوم أو لم يكن.

ومعنى قوله: " يدوكون ليلتهم " أي: يخوضون في تلك الليلة، و (باتوا) يعني ظلوا ليلا يتحدثون من دون نوم، لعظم هذا الفضل الذي ذكره عليه الصلاة والسلام.

قال:. . . «فلما أصبحوا غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها فقال: أين علي بن أبي طالب؟ فقيل: هو يشتكي عينيه، فأرسلوا إليه، فأتي به فبصق في عينيه، ثم دعا له، فبرأ كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال: انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام» . . .: فقوله: «انفذ على رسلك حتى." (٢)

". . . . .

ـــــ تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام» (١) . هذا هو موطن الشاهد **والمناسبة** من إيراد هذا الحديث في الباب.

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص/٦٦

(٢) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص/٦٨

قال: «ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه» ، فالدعوة إلى الإسلام هي الدعوة إلى التوحيد؛ لأن أعظم أركان الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وضم إليها عليه الصلاة والسلام أيضا أن يدعوهم إلى حق الله فيه، يعني: إلى ما يجب عليهم من حق الله فيه.

فقوله: «وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه» . . . يعني في الإسلام، من جهة التوحيد، ومن جهة الفرائض، واجتناب المحرمات؛ ولهذا يجب أن تبدأ بالدعوة أولا إلى أصل الإسلام، وهو: التوحيد، وبيان معنى الشهادتين ثم بيان المحرمات، والواجبات؛ لأن أصل الأصول هو أولى الواجبات بالتقديم.

ومما يلاحظ – هنا – أن آية سورة يوسف فيها بيان أن كل الصحابة كانوا دعاة إلى الله – جل وعلا – وإلى التوحيد، وحديث معاذ يبين أن معاذا كان من الدعاة إلى الله، وقد فصل فيه نوع تلك الدعوة إلى الله – جل وعلا – وكذلك حديث سهل بن سعد الذي فيه قصة علي فيه أيضا الدعوة إلى الإسلام، فيكون هذان الحديثان كالتفصيل لقوله في الآية: ﴿أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني﴾ [يوسف: ١٠٨] فالدعوة على بصيرة هي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وهي الدعوة إلى توحيده وإلى الإسلام، وما يجب على العباد من حق الله فيه.

باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله " سبق بيان أن التوحيد هو: شهادة أن لا إله إلا الله؛ ولهذا قال العلماء: إن العطف في قوله: " التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله " من عطف المترادفات. ولكن هذا فيه نظر من جهة أن الترادف غير موجود، أعني: الترادف الكامل، لكن الترادف الناقص موجود فيكون هذا – إذا – من قبيل عطف المترادفات التي يختلف بعضها عن بعض في بعض المعنى.

وقوله هنا: " باب تفسير التوحيد " يعني: الكشف والإيضاح عن معنى التوحيد، وقد تقدم أن التوحيد هو: اعتقاد أن الله – جل وعلا – واحد في ربوبيته لا شريك له، واحد في إلهيته لا ند له، واحد في أسمائه وصفاته لا مثل له، سبحانه وتعالى، قال – جل وعلا –: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ [الشورى: ١١] [الشورى: ١١] وذلك يشمل أنواع التوحيد جميعا، فالتوحيد – إذا –: هو اعتقاد أن الله واحد في هذه الثلاثة أشياء.

قوله: ". . . وشهادة أن لا إله إلا الله " يعني: تفسير شهادة أن لا إله إلا الله، فهذه الشهادة هي أعظم كلمة قالها مكلف، ولا شيء أعظم منها؛ وذلك لأن معناها هو الذي قامت عليه الأرض والسماوات، وما تعبد المتعبدون إلا لتحقيقها ولامتثالها.

والشهادة تارة تكون شهادة عن حضور وبصر، وتارة تكون شهادة عن علم، بمعنى أنه: إما أن يشهد على

شيء حضره ورآه، أو يشهد على شيء

(١) تقدم.." (١)

". . . . .

ـــــ بأنه إفراد الله بالعبادة – وهو توحيد الإلهية – وهذه الآية اشتملت على الثناء على خاصة عباد الله، بأنهم وحدوا الله في الإلهية. وهذه مناسبة الآية للباب، فقد وصفهم الله – جل وعلا – بقوله: ﴿أولئك الذين يدعون﴾ [الإسراء: ٥٧] ومعنى: يدعون: يعبدون؛ لأن الدعاء هو العبادة، والدعاء نوعان كما سيأتي تفصيله: دعاء مسألة، ودعاء عبادة، فقوله هنا ﴿أولئك الذين يدعون﴾ [الإسراء: ٥٧] يعني: يعبدون، والوسيلة في قوله: ﴿يبتغون إلى ربهم الوسيلة﴾ [الإسراء: ٥٧] هي: القصد والحاجة، والتقرب بالأعمال الصالحة يعني: أن حاجاتهم يبتغونها إلى ربهم ذي الربوبية الذي يملك الإجابة، وفي مسائل نافع بن الأزرق، المعروفة لابن عباس – رضي الله عنهما – أنه سأله عن قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة﴾ [المائدة: ٣٥] [المائدة: ٣٥] ما معنى الوسيلة؟ فقال: الوسيلة الحاجة، فقال له: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، ألم تسمع قول الشاعر، وهو عنترة يخاطب امرأة:

إن الرجال لهم إليك وسيلة ... أن يأخذوك تكحلي وتخضبي

فقول عنترة: (لهم إليك وسيلة) يعني: لهم إليك حاجة، ووجه الاستدلال من آية المائدة: أنه قال: ﴿وابتغوا إليه الوسيلة﴾ [المائدة: ٣٥] فقدم الجار والمجرور على لفظ (الوسيلة) ، وتقديم الجار والمجرور – وحقه التأخير – يفيد الحصر والقصر، وعند عدد من علماء المعاني: يفيد الاختصاص، وسواء أكان هذا أم ذاك، فوجه الاستدلال ظاهر: في أن قوله تعالى في آية الإسراء:." (٢)

". . . . .

ـــــ ﴿يبتغون إلى ربهم الوسيلة﴾ [الإسراء: ٥٧] معناه: أن حاجاتهم إنما يبتغونها عند الله، وقد اختص الله – جل وعلا – بذلك، فلا يتوجهون إلى غيره، وقد حصروا وقصروا التوجه في الله – جل وعلا –.

وقد جاء بلفظ الربوبية دون لفظ الألوهية قوله تعالى ﴿يبتغون إلى ربهم الوسيلة﴾ [الإسراء: ٥٧] ولم يقل: يبتغون إلى الله الوسيلة؛ لأن إجابة الدعاء، والإثابة، هي: من مفردات الربوبية؛ لأن ربوبية الله على خلقه

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص/٦٩

(٢) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص/٧٩

تقتضي أن يجيب دعاءهم وأن يعطيهم سؤلهم.

فظهروا من قوله: ﴿يبتغون إلى ربهم الوسيلة﴾ [الإسراء: ٥٧] أن فيها تفسير التوحيد، وهو أن كل حاجة من الحاجات إنما تنزلها بالله – جل وعلا – وكذلك قوله: يدعون فيه تفسير التوحيد – أيضا – لأن معنى يدعون يعبدون؛ فهم إنما يطلبون حاجتهم من الله – جل وعلا – فلا يعبدون غير الله بنوع من العبادات، ولا يتوجهون بها لغير الله، فإذا نحروا فإنما ينحرون يبتغون إلى ربهم الحاجة، وإذا صلوا فإنما يصلون يبتغون إلى ربهم القربة، وإذا استغاثوا فإنما يستغيثون بالله يبتغون إليه رفيع الدرجات دونما سواه، إلى آخر مفردات توحيد العبادة. فهذه الآية دالة – بظهور – على أن قوله: ﴿يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة﴾ [الإسراء: ٥٧] أنه هو التوحيد. وقد استشكل بعض أهل العلم إيراد هذه الآية في الباب وقال: ما مناسبة هذه الآية لهذا الباب؟ وبما ذكرت لك تتضح المناسبة جليا.." (١)

". . . . .

ــــــ وقوله – جل وعلا –: ﴿أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه﴾ [الإسراء: ٥٧] [الإسراء: ٥٧] فيه بيان لحال خاصة عباد الله الذين جمعوا بين العبادة، والخوف، والرجاء، فيرجون رحمته، ويخافون عذابه، فهم إنما توجهوا إليه وحده دون ما سواه فأنزلوا الخوف، والمحبة، والدعاء، والرغب، والرجاء في الله – جل وعلا – وحده دون ما سواه، وهذا هو تفسير التوحيد.

قال – رحمه الله –: وقوله: ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون – إلا الذي فطرني فإنه سيهدين﴾ [الزخرف: ٢٦ – ٢٧] [الزخرف: ٢٧]

والدليل في هذه الآية هو قوله: ﴿إنني براء مما تعبدون – إلا الذي فطرني﴾ [الزخرف: ٢٦ – ٢٧] ووجه الاستدلال أن هذه الجملة فيها البراءة، وفيها الإثبات، فالبراءة: مما يعبدون، قال بعض أهل العلم: تبرأ من العبادة ومن المعبودين قبل أن يتبرأ من العابدين؛ لأنه إذا تبرأ من أولئك: فقد بلغ به الحنق، والكراهة، والبغضاء، والكفر بتلك العبادة مبلغها الأعظم، وقد جاء تفصيل ذلك في آية الممتحنة كما هو معلوم.

فمناسبة هذه الآية للباب: أن قوله: ﴿إنني براء مما تعبدون – إلا الذي فطرني﴾ [الزخرف: ٢٦ – ٢٧] اشتملت على نفي وإثبات، فهي مساوية لكلمة التوحيد بل هي التوحيد، ففي هذه الآية تفسير شهادة أن

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص/٨٠

لا إله إلا الله؛ ولهذا قال – جل وعلا – بعدها: ﴿وجعلها كلمة باقية في عقبه﴾ [الزخرف: ٢٨] فما هذه الكلمة؟." (١)

". . . . .

ــــــ ثم قال: ﴿إلا الذي فطرني﴾ [الزخرف: ٢٧] وهذا الاستثناء هو كالاستثناء الذي في كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) ، قال بعض أهل العلم في قوله: ﴿إلا الذي فطرني﴾ [الزخرف: ٢٧] ذكر الفطر دون غيره؛ لأن في ذلك تذكيرا بأنه إنما يستحق العبادة من فطر، أما من لم يفطر، ولم يخلق شيئا، فإنه لا يستحق شيئا من العبادة.

فمناسبة هذه الآية للباب ظاهرة، وكذا: وجه الاستدلال منها.

قال: وقوله: ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله﴾ [التوبة: ٣١] [التوبة: ٣١] الأرباب: جمع رب، والربوبية هنا هي: العبادة، يعني: اتخذوا أحبارهم ورهبانهم معبودين من دون الله يعني: مع الله؛ وذلك أنهم أطاعوهم في تحليل الحرام، وتحريم الحلال، والطاعة من التوحيد، وفرد من أفراد العبادة، فإذا أطاع غير الله في التحليل وفي التحريم: فإنه يكون قد عبد ذلك الغير، فهذه الآية فيها: ذكر أحد أفراد التوحيد، وأحد أفراد العبادة، وهو الطاعة، وسيأتي إيرادها في باب مستقل – إن شاء الله تعالى – مع بيان ما تشتمل عليه من المعاني.

قال: وقوله: ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله﴾ [البقرة: ١٦٥] [البقرة: ١٦٥]

.

أخبر الله – جل وعلا – أن المشركين اتخذوا من دون الله أندادا – يعني: مع الله، أو غيره – دونه وجعلوهم يستحقون شيئا من العبادات، ووصفهم بأنهم." (٢)

". . . . .

ــــــ " ما هذه؟ " قال: من الواهنة، فقال: انزعها، فإنها لا تزيدك إلا وهنا، فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدا» (١) .

مناسبة الحديث للباب ظاهرة، وهي: أنه عليه الصلاة والسلام رأى رجلا في يده حلقة من صفر وكان أهل الجاهلية يعلقونها رجاء النفع أو دفع الضر فقال عليه الصلاة والسلام: " ما هذه؟ "، فإن قيل: فما نوع

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص/٨١

(٢) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص/٨٣

الاستفهام في هذا الحديث؟ الجواب أن من أهل العلم من قال: إنه استفهام إنكار. ولكن المسؤول لم يفهم أنه إنكار، بل فهم أنه استفصال، فلذلك أجاب؛ فقال: من الواهنة.

وقال آخرون من أهل العلم: إنه يحتمل أن يكون استفهام استفصال، أو استفهام إنكار؛ ولهذا أجاب المسؤول بقوله: من الواهنة. والأظهر: الأول، يعني: أنه يفيد الإنكار الشديد، وإنما كان هو الأظهر من حيث دلالة السياق عليه؛ وليس في السياق ما يدل على أنه صلى الله عليه وسلم كان يقصد بسؤاله الاستفصال عن السبب الذي من أجله لبس الرجل حلقه الصفر، كأن يكون قد لبسها للتحلي، أو لأي أمر آخر.

والمقصود أن الاستفهام في قوله: «ما هذه؟» لا يحتمل أن يكون استفصالا عن وجه اللبس، هل هو: للاعتقاد، أو يكون قد لبس لغير ذلك، بل هو استفهام للإنكار. وإذا احتمل أن يكون الاستفهام للاستفصال، فإن في قول المسؤول: «من الواهنة» ما يعين سبب اللبس، فعلى كلا القولين: يكون قد لبسها لأجل تعلقه بها، لرفع المرض، أو لدفعه. والواهنة: نوع مرض من الأمراض يهن الجسم، ويطرحه، ويضعف قواه.

---

(١) تقدم.." (١)

"

. . . .

ـــــ قال: وفي رواية: «من تعلق تميمة فقد أشرك» لأن تعليق التمائم والتعلق بها شرك أصغر، وقد يكون أكبر بحسب حال المعلق، كما سيأتي تفصيل الكلام عليه إن شاء الله تعالى.

قال: " ولابن أبي حاتم عن حذيفة رضي الله عنه أنه رأى رجلا في يده خيط من الحمى فقطعه وتلا قوله تعالى ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾ [يوسف: ١٠٦] [يوسف: ١٠٦] (١) مناسبة هذا الأثر للباب ظاهرة، وهي أن حذيفة الصحابي رضي الله عنه رأى رجلا في يده خيط من الحمى فقطعه، واستدل بالآية على أن ذلك من الشرك. و (من) هنا تعليلية، يعني: أنه علق الخيط لأجل رفع الحمى، أو لرفعها.

و (من) لها معان كثيرة، فتكون تبعيضية وتعليلية، وغير ذلك، وقد جمعها ابن أم قاسم في نظمه لبعض حروف المعاني بقوله:

أتتنا (من) لتبيين وبعـ ... وتعـ،يل وبدء وانتهـ

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص/٩٩

وزائدة وإبدال وفصد ... ومعنى على وعن وفي وبـ

فـ (من) في هذا الأثر: تفيد التعليل، ومعنى قوله: «من الحمى» أي لأجل دفع الحمى، أو لرفعها، فـ (من) تعليل لوضع الخيط في اليد.

قوله:. . «فقطعه» : يدل على أن هذا منكر عظيم، يجب إنكاره، ويجب قطعه.

---

(١) تقدم.." (١)

". . . . .

ـــــ قوله - رحمه الله -: (في الصحيح عن أبي بشير الأنصاري رضي الله عنه: «أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره، فأرسل رسولا أن لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر، أو قلادة إلا قطعت» (١) .

وجه الاستدلال بهذا الحديث: أن تعليق القلادة من الوتر على البعير مأمور بقطعه. والأمر بقطعه؛ لأجل أن العرب تعتقد أنها تدفع العين عن الأبعرة، والنعم، فيعلقون عليها الأوتار على شكل قلائد، وربما ناطوا بالأوتار أشياء من خرز، أو من شعر، أو نحو ذلك لدفع العين، فهذا نوع من أنواع التمائم. **فمناسبة** هذا الحديث للباب ظاهرة، وهي: أن قوله: «لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت» ظاهر في النهي عن التمائم، وأن هذا النوع يجب قطعه، وإنما يجب قطعه؟ لأن في تعليقه اعتقاد أنه يدفع الضر أو أنه يجلب النفع، وهذا الاعتقاد اعتقاد شركي.

قوله: (وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الرقى والتمائم والتولة شرك») ، فهذا الحديث تضمن تأكيدا؛ لأن دخول (إن) على الجملة الخبرية بعدها يفيد تأكيد ما تضمنته.

وقوله هنا: (الرقى) لما دخلت عليها (الألف واللام) أفادت العموم، فهذا الحديث أفاد بعمومه أن كل الرقى من الشرك، وأن كل التمائم من الشرك، وأن كل التولة من الشرك، فتكون هذه الأنواع كلها من الشرك.

---

(١) تقدم.." (٢)

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص/١٠٣

(٢) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص/١١١

"................................

ـــــــ فما حكم فاعل ذلك؟ الجواب: أنه مشرك، كما صرح به الشيخ عبد الرحمن بن حسن في شرحه " فتح المجيد " لباب من تبرك بشجر أو حجر ونحوهما حيث قال الله: (أي: فهو مشرك) .

لم يفصح الشراح في هذا الموضع عن نوع شرك المتبرك بالشجر والحجر هل هو شرك أكبر، أو شرك أصغر؟ وإنما أدار الشيخ سليمان – رحمه الله – المعنى في " التيسير " بعد أن ساق تفسير آية النجم: ﴿أفرأيتم اللات والعزى﴾ [النجم: ١٩] [النجم: ١٩] على الاحتمالين، فقال في آخره: **مناسبة** الآية للترجمة: أنه إن كان التبرك شركا أكبر فظاهر، وإن كان شركا أصغر: فالسلف يستدلون بالآيات التي نزلت في الأكبر على الأصغر.

وتحقيق المقام: أن التبرك بالشجر، أو بالحجر أو بالقبر، أو ببقاع مختلفة، قد يكون شركا أكبر، وقد يكون شركا أصغر.

فيكون شركا أكبر: إذا طلب بركتها، معتقدا أنه بتمسحه بهذا الشجر، أو الحجر أو القبر، أو تمرغه عليه، أو التصاقه به: يتوسط له عند الله. فإذا اعتقد فيه أنه وسيلة إلى الله فهذا: اتخاذ إله مع الله – جل وعلا – وشرك أكبر، وهذا هو الذي كان يعتقده أهل الجاهلية في الأشجار والأحجار التي يعبدونها، وفي القبور التي يتبركون بها؛ يعتقدون أنهم إذا عكفوا عندها، وتمسحوا بها، أو نثروا ترابها على رؤوسهم، فإن هذه البقعة، أو صاحب هذه البقعة، أو الروحانية وهي: الروح التي تخدم هذه البقعة: أنه يتوسط له عند الله – جل وعلا – فهذا الفعل – إذا – راجع إلى اتخاذ أنداد مع الله – جل وعلا –، وقد." (١)

"................................

ـــــــ الشركي، وتحضر الجن لإضلال الناس بذلك، فعلاها خالد بالسيف حتى قتلها، فرجع للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: «تلك العزى» (١) المقصود: أن العزى اسم لشجرة كانت في ذلك الموضع، وكان تعلق الناس في الحقيقة بتلك الشجرة، وبالمرأة التي كانت تخدم ذلك الشرك، فلو قطعت الأشجار وبقيت المرأة، فإن المرأة ستغري الناس مرة أخرى بما ستذكره لهم، أو ما تحكيه لهم، أو ما تجيب به مطالبهم عن طريق الجن، فلا يكون الشرك قد انقطع؛ ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: «تلك العزى» يعني: أن حقيقة العزى هي تلك المرأة التي تغري الناس بذلك الشرك، وإلا فهي شجرة.

وقوله، ﴿ومناة الثالثة الأخرى﴾ [النجم: ٢٠] والأخرى: يعني: الوضيعة الحقيرة، وكانت مناة هذه أيضا

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص/١٢٨

صخرة، وسميت مناة؛ لكثرة ما يمنى عليها من الدماء تعظيما لها (٢) ووجه **مناسبة** الآية للترجمة: أن ما كان يفعله المشركون عند هذه الثلاث، هو عين ما يفعله المشركون في الأزمنة المتأخرة عند الأحجار، والأشجار، والغيران، والقبور ومن قرأ شيئا مما يصنعه المشركون علم غربة الإسلام في هذه البلاد قبل هذه الدعوة، وأن الناس كانوا على شرك عظيم. وإذا تأملت أحوال ما حولك من البلاد التي ينتشر فيها الشرك وجدت من اتخاذ الأشجار

---

(١) سيرة ابن هشام ٤ / ١٠٩٩.

(٢) أخرجه البخاري (٨ / ٦١٣) وانظر تفسير ابن كثير (٧ / ٤٣٢) والبداية والنهاية (٢ / ١٩٢) ، (٤ / ٣٧) .." [1]

". . . . .

ـــــ واللام في قوله: «لعن الله من ذبح لغير الله» معناها: أن من فعل ذلك من أجل غير الله تقربا إليه وتعظيما، فذبح لغير الله تقربا إلى ذلك الغير، وتعظيما له فهو مستحق للعن، وهذا وجه **مناسبة** هذا الحديث لـ " باب ما جاء في الذبح لغير الله " يعني: من الوعيد وأنه شرك وصاحبه ملعون.

الحديث الآخر وجه الدلالة منه: أن التقريب للصنم بالذبح كان سببا لدخول النار وذلك أن ظاهر المعنى يدل أن من فعله كان مسلما، وأنه دخل النار بسبب ما فعل، وهذا يدل على أن الذبح لغير الله شرك أكبر؛ لأن ظاهر قوله: «دخل النار» يعني: استوجبها مع من يخلد فيها.

وفيه وجه آخر للدلالة: وهو أنه إذا كان تقريب هذا الذي لا قيمة له - وهو الذباب - سببا في دخول النار، فإنه يدل على أن من قرب ما هو أبلغ، وأعظم منفعة عند أهله وأغلى، أنه سبب أعظم لدخول النار.

وقولهم هنا: " قرب ": يعني اذبح تقربا، والملاحظ هنا في هذا الحديث، أنه لم يدل على أنهم أكرهوه على هذا الفعل؛ لأنه قال «مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى يقرب له شيئا» . فظاهر قوله: «لا يجوزه أحد» يعني أنهم لا يأذنون لأحد بمجاوزته عن ذلك الطريق حتى يقرب، وهذا ليس إكراها؛ إذ يمكن أن يقول: سأرجع من حيث أتيت ولا يجوز ذلك الموضع ويتخلص من أذاهم، فهذا يدل على أن

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص/١٣١

الإكراه بالفعل لم يحصل من أولئك فلا يدخل هذا في قوله: ﴿إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرا﴾ [النحل: ١٠٦] [النحل: ١٠٦] لأنه ليس في." (١)

". . . . .

ـــــــ **ومناسبة** الآية للباب ظاهرة: وهي أن الله – جل وعلا – نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة في مسجد الضرار، ومعلوم أن صلاته عليه الصلاة والسلام، وصلاة المؤمنين معه هي خالصة لله – جل وعلا – دون من سواه، ومع هذا فقد نهوا عن الصلاة فيه، مع أنهم مخلصون؛ ليس عندهم نية الإضرار ولا التفريق ولا الإرصاد، لكن نهاهم عن الصلاة فيه؛ لأجل هذه المشاركة والمشابهة التي قد تغري بإتيان ذلك المكان.

الصورة متحققة وموجودة فيمن ذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله، فإنه وإن كان مخلصا، لكنه قد يدعو إلى تعظيم ذلك المكان بفعله، وإن لم يقصد التعظيم. لكن هنا إيراد: وهو أنه جاء الإذن عن الصحابة بالصلاة في الكنيسة، وقد صلى عمر رضي الله عنه في كنيسة بيت المقدس (١) ومن الصحابة رضوان الله عليهم من صلى في كنائس بعض البلاد فصلاتهم في الكنائس لله – جل وعلا – أليست مشابهة للصلاة في مسجد الضرار أو للذبح في مكان يذبح فيه لغير الله؟

الجواب: أن هذا الإيراد ليس بوجيه؛ ذلك لأن نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة في مسجد الضرار، وعن الذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله إنما هو: لأن صورة العبادة واحدة؛ فصورة الذبح من الموحد، ومن المشرك واحدة، وهي إمرار السكين وهي: آلة الذبح على الموضع من البهيمة المراد ذبحها، وإهراق دمها في ذلك المكان، والصورة الحاصلة من الموحد ومن المشرك واحدة، ولهذا فإنه

---

(١) انظر صحيح البخاري باب الصلاة في البيعة وفيه أثر عمر وابن عباس وانظر الإنصاف ج١ / ٤٩٦ والفتاوى ٢٢ / ١٦٢ وأحكام أهل الذمة ٦ / ١٢٣.." (٢)

". . . . .

ـــــــ سبحانه وتعالى، وإذا كان المخلوق يقدر على ذلك الكشف: فإنما هو من جهة أنه سبب، فالله هو الذي جعله سببا يقدر على أن يكشف بإذن الله – جل وعلا –، وإلا فالكاشف حقيقة هو الله – جل

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص/١٤٧

(٢) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص/١٥٣

وعلا -، والمخلوق ولو كان يقدر فإنما قدر بإقدار الله له؛ إذ هو سبب من الأسباب، فالحاصل: أن الكاشف على الحقيقة هو الله وحده، وإذا تبين ذلك: ظهر لك وجه استدلال المصنف بهذه الآية **ومناسبة** الآية للترجمة، من عدة جهات كما ذكرنا.

ثم أورد الشيخ - رحمه الله - قوله تعالى: ﴿فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له﴾ [العنكبوت: ١٧] [العنكبوت: ١٧] .

ليبين أن الاستغاثة والدعاء هما من أعظم أسباب الحياة؛ فمن لم يكن عنده رزق فإنه يوشك على الهلاك؛ ولهذا ذكر الإمام هذه الآية التي فيها النص على توحيد جهة طلب الرزق؛ لأن معظم حال المستغيثين إنما هي لطلب الرزق.

والرزق اسم عام يشمل كل ما يصلح أن يرزق، يعني: أن يمنح ويعطى؛ فيدخل في ذلك الصحة، والعافية، والمال، والطعام، والمنزل، والدواب، وكل ما يحتاجه المرء.

وقوله في الآية: ﴿فابتغوا عند الله الرزق﴾ [العنكبوت: ١٧] أصل تركيب الكلام فيها: فابتغوا الرزق عند الله، و (ابتغوا) فعل أمر، و (الرزق) مفعول، و (عند الله) الأصل أن يتأخر على المفعول، أي فابتغوا الرزق عند الله. قال علماء المعاني - من علوم البلاغة -: إن تقديم ما حقه." (١)

". . . . .

ـــــ وهذا هو صنيع الشيخ - رحمه الله - أيضا في هذا الكتاب؛ فإنه يستدل بأحاديث هي من جهة المعنى الذي اشتملت عليه صحيحة - كما سبق إيضاحه - وقد ساق شيخ الإسلام ابن تيمية هذا الحديث مستدلا به في رده على البكري المعروف بـ (الاستغاثة) أعني: كتاب (الاستغاثة الكبرى) ، أو (الرد على البكري) ، وقال إن هذا الحديث هو معنى ما جاء في النصوص.

فقوله عليه الصلاة والسلام: " إنه لا يستغاث بي " يعني: لا تستغيثوا بي، وإنما استغيثوا بالله؛ لأن لفظ (يستغاث) تقدمه نفي، والمراد منه: النهي.

وهذا الباب ظاهر **المناسبة** لما قبله ولما بعده أيضا في أن الاستغاثة بغير الله نوع من أنواع الدعاء، وأن الدعاء عبادة، وأن الاستغاثة عبادة، وصرف العبادة لغير الله جل وعلا: كفر وشرك.

ومما يدل على أن الدعاء عبادة قول الله جل وعلا: ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي﴾ [البقرة: ١٨٦] [البقرة: ١٨٦] ، وقوله: ﴿أجيب دعوة الداع

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص/١٨٤

إذا دعان﴾ [البقرة: ١٨٦] يدل على أن إجابة الدعوة تكون برفع المكروه، أو بمنع وقوعه، وتكون أيضا بالعطاء، والإثابة فيما إذا عبد، فيجيب الدعوة بإعطاء السائل سؤله، ويجيب أيضا الدعاء بإثابة الداعي العابد على عبادته؛ ولهذا يفسر السلف الآيات التي فيها إجابة الدعاء ونحو ذلك: بأن فيها إعطاء سؤل السائل، وإثابة العابد؛ لأن الصحابة والسلف: يعلمون أن الدعاء يشمل هذا وهذا. وقوله: ﴿إذا دعان﴾ [البقرة: ١٨٦] يعني: إذا سألني، أو عبدني، مع أنها في السؤال ظاهرة، وفي الدعاء بينة.." [١]

". . . . .

ـــــ كذلك بطلت كل التوجهات إلى غير الله – جل وعلا – ووجب أن يتوجه بالعبادات، وأنواع التوجهات من: دعاء، واستغاثة، واستعاذة، وذبح، ونذر، وغير ذلك: إلى الحق –جل وعلا – وحده دون ما سواه.

ثم ذكر الحديث الأخير في الباب، وهو: أنه لما نزلت ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ [الشعراء: ٢١٤] قال النبي صلى الله عليه وسلم: «يا معشر قريش اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئا، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئا، يا صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أغني عنك من الله شيئا، يا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئا» ، وهذا ظاهر في أن النبي عليه الصلاة والسلام لا يستطيع أن ينفع أحدا من أقربائه إلا بما جعله الله له من الرسالة، وأداء الأمانة، وأما أنه يغني عنهم من الله شيئا، ويدفع عنهم العذاب؛ أو النكال، أو العقوبة: فالله – جل وعلا – لم يجعل لأحد من خلقه من ملكوته شيئا، وإنما هو سبحانه المتفرد بالملكوت والجبروت، والمتفرد بالكمال والجمال والجلال.

مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد – كما ذكرنا سابقا –: أن فيه برهانا على أن المستحق للعبادة هو الله جل جلاله؛ لأنه هو المتصف بصفات الكمال والجلال.

وهذا الباب فيه ذكر لصفات الجلال لله – جل وعلا؛ إذ كل من في السماوات والأرض خائف منه، ووجل؛ لأنه – سبحانه – الجليل؛ ولذلك كان أعرف عمار السماء به هم الملائكة الذين قال الله تعالى في وصفهم: ﴿يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ [النحل: ٥٠] وقال – جل وعلا." [٢]

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص/١٨٩

(٢) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص/٢٠٤

". . . . .

ـــــ ليست في الانتفاع بالإخراج من النار، إنما هي في تخفيف العذاب، خاصة بالنبي عليه الصلاة والسلام بما أوحى الله – جل وعلا – إليه، وأذن له بذلك.

ثم قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – في آخر كلامه: " وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص "، وهذه هي الشفاعة المثبتة بشرط الرضا. فتبين بهذا الباب أن الشفاعة التي تعلقت بها قلوب أولئك الخرافيين المشركين باطلة؛ وأن قولهم: ﴿هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ [يونس: ١٨] [يونس: ١٨] قول باطل؛ إذ الشفاعة التي تنفع إنما هي لأهل الإخلاص ثم إن طلبها وسؤالها من غير الله تعالى مؤذن بحرمانهم إياها، ما داموا طلبوها من غير الله، ووقعوا في الشرك الصريح.

وخلاصة الباب: أن تعلق أولئك بالشفاعة عاد عليهم بعكس ما أرادوا، فإنهم لما تعلقوا بالشفاعة حرموها؛ لأنهم تعلقوا بشيء لم يأذن الله – جل وعلا – به شرعا؛ حيث استخدموا الشفاعات الشركية، وتوجهوا إلى غير الله، وتعلقت قلوبهم بهذا الغير.

مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد:

أن الهداية من أعز المطالب، وأعظم ما تعلق به المتعلقون بغير الله؛ أن يحصل لهم النفع الدنيوي والأخروي من الذين توجهوا إليهم، واستشفعوا." (١)

". . . . .

ـــــ قول الله – جل وعلا – مخبرا عن قولهم في أول سورة (ص) : ﴿أجعل الآلهة إلها واحدا﴾ [ص: ٥] [ص: ٥] استنكروا قول: (لا إله إلا الله) . وهذا هو الذي حصل مع أبي طالب لما قال له النبي صلى الله عليه وسلم: «قل: لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله» . فلو كانت كلمة مجردة من المعنى عندهم، أو يمكن أن يقولها المرء دون اعتقاد ما فيها، ورضى بما فيها ويقين وانتفاء الريب: لقالها، ولكن ليس هذا هو المقصود من قول (لا إله إلا الله) ، بل المقصود هو قولها مع تمام اليقين بها، وانتفاء الريب، والعلم، والمحبة، إلى آخر الشروط المعروفة.

وقوله في الحديث: فقالا له: " أترغب عن ملة عبد المطلب ": هذا فيه – والعياذ بالله – ضرر جليس السوء على المجالس له.

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص/٢٢٥

وقوله: «فكان آخر ما قال: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " لأستغفرن لك، ما لم أنه عنك» : وهذا موطن الشاهد من هذا الحديث. **ومناسبة** هذا الحديث، لهذا الباب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لأستغفرن لك» واللام في قوله: " لأستغفرن " هي التي تقع في جواب القسم؛ فثم قسم مقدر، تقديره: والله لأستغفرن لك. فالاستغفار حصل من النبي صلى الله عليه وسلم لعمه، ولكن: هل نفع استغفار النبي صلى الله عليه وسلم له؟ ؟ لم ينفعه ذلك.

وطلب الشفاعة والاستشفاع هو: من جنس طلب المغفرة، فالاستغفار طلب المغفرة، والشفاعة قد يكون منها طلب المغفرة، ولكن لم يقبل الله تعالى من النبي صلى الله عليه وسلم شفاعته لعمه؛ لأن المطلوب له كان مشركا، والاستغفار والشفاعة لا تنفعان أهل الشرك، والنبي صلى الله عليه وسلم لا يملك أن ينفع مشركا بالشفاعة." (١)

". . . . .

ـــــ التذلل والخضوع، فاتخاذ قبورهم مساجد، يعني: جعلوها قبلة لهم؛ ولهذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يصلي إلى القبر؛ لأجل أن الصلاة إليه وسيلة من وسائل التعظيم، وهذا يوافق قول الشيخ - رحمه الله - في الباب " باب ما جاء في التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح "، فالمفهوم من قوله: " عند قبر رجل صالح " هذه الصورة المتقدمة، وهي: أن يكون القبر أمامه، فيجعل القبر بينه وبين القبلة تعظيما للقبر.

الصورة الثالثة: أن يتخذ القبر مسجدا، بأن يجعل القبر في داخل بناء، وذلك البناء هو المسجد، فإذا دفن النبي قام أولئك بالبناء عليه، فجعلوا حول قبره مسجدا واتخذوا ذلك المكان للتعبد وللصلاة فيه، هذه هي الصورة الثالثة، وهي أيضا موافقة لقول الشيخ - رحمه الله - " عند قبر رجل صالح ".

وهذا يبين لك بعض **المناسبة** في إيراد هذا الحديث في هذا الباب.

وقول عائشة رضي الله عنها " يحذر ما صنعوا " فيه إشارة إلى السبب الذي لأجله لعن النبي - عليه الصلاة والسلام - اليهود والنصارى، وهو يعالج ويعاني سكرات الموت؛ وهو أنه أراد تحذير الصحابة من أن يحذوا في ذلك الأمر حذو أهل الكتاب. وقد قبل الصحابة رضوان الله عليهم تحذيره، وعملوا بوصيته. ومعنى قولها - رضي الله عنها: " ولولا ذلك أبرز قبره ". يعني: لأظهر، وجعل قبره مع سائر القبور في البقيع أو غير ذلك، ولكن كان من العلل التي جعلتهم لا ينقلونه عليه الصلاة والسلام من مكانه الذي توفي فيه إلى

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص/٢٣١

المقبرة: قوله عليه الصلاة والسلام: «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» قالت: يحذر ما صنعوا، ولولا ذلك أبرز قبره، فهذه إحدى العلتين.." [١]

". . . . .

ــــــ فالمقصود من هذا البيان: أن قبر النبي عليه الصلاة والسلام ما اتخذ مسجدا، وأن وصيته عليه الصلاة والسلام في التحذير قد أخذ بها في مسجده وفي قبره، ولكن خالفتها بعض الأمة في قبور بعض الصالحين من هذه الأمة، فاتخذوا قبور بعض آل البيت مساجد وعظموها، كما تعظم الأوثان.

" ولمسلم عن جندب بن عبد الله قال: «سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس، وهو يقول: إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله قد اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا، ولو كنت متخذا من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا» : سبب ذلك: أن الخلة هي أعظم درجات المحبة، وهي التي تتخلل الروح، وتتخلل القلب، وشغاف الصدر، بحيث لا يكون ثم مكان لغير ذلك الخليل؛ ولهذا فإن النبي – عليه الصلاة والسلام – ليس له من أصحابه خليل؛ ولهذا قال: «ولو كنت متخذا من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا» .

ووجه الشاهد من هذا الحديث قوله بعد ذلك: «ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك» : وجاء في رواية أخرى أيضا: «كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد» ، وهذا هو الذي وقع في هذه الأمة، ولا شك أنه وسيلة من وسائل الشرك.

ومناسبة الحديث للباب ظاهرة وهي: أنه حرم اتخاذ قبور والأنبياء والصالحين مساجد، مع أنه قد يكون العابد لا يعبد إلا الله؛ لأنها وسيلة من وسائل." [٢]

". . . . .

ــــــ للصلاة عند القبر يجعل القاصد من شرار الناس كما وصفهم النبي – عليه الصلاة والسلام – بذلك.

ومناسبة هذا الحديث للباب ظاهرة فإنه ذكر أن من شرار الناس الذين يتخذون القبور مساجد، والقصد من اتخاذ القبر مسجدا: أن يعبد الله عند قبر ذلك الرجل الصالح، فكيف حال الذي توجه إلى النبي عليه الصلاة والسلام بالعبادة؟ ؟ !! والحال أن القبر لا يخلص إليه، ولكن الاستغاثة بالنبي عليه الصلاة والسلام، وتأليهه قد يقعان بحسب الاعتقادات، وبحسب المناداة، كما حصل من الجاهليين مناداة الملائكة، واتخاذ

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص/٢٥٩

(٢) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص/٢٦٤

الملائكة آلهة مع الله جل جلاله. وكذلك المتخذون الأولياء معبودين، هم من أشر الناس الذين وصفهم النبي – عليه الصلاة والسلام – بقوله «إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد» ، فإن الذي اتخذ القبر مسجدا ملعون بلعنة النبي عليه الصلاة والسلام، وإن كان لم يعبد إلا الله جل وعلا، فكيف حال الذي عبد صاحب ذلك القبر؟ !! نسأل الله العافية والسلامة من كل وسائل الشرك.

وتأمل هذا مع ما فشا في بلاد المسلمين من بناء القباب والمشاهد على القبور، وتعظيم هذا الفعل المنكر، وتحسينه، وتوجيه الناس إليه، وإلى التعلق بالمقبورين، وذكر الحكايات الطويلة في مناقب أولئك الأولياء، وفي إجابتهم للدعوات، وإغاثتهم للهفات، ونحو ذلك يتبين لك غربة الإسلام أشد غربة في هذه الأزمنة وما قبلها، فكيف إذا قالوا: إن ذلك جائز، وذلك توحيد؟ ! بل كيف إذا اتهموا من نهاهم عن ذلك بعدم المعرفة، وعدم الفهم، وهو يدعوهم إلى الله – جل وعلا – وهم يدعونه إلى النار.؟ نسأل الله السلامة والعافية.

" باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانا تعبد من دون الله ". الغلو في قبور الصالحين: وسيلة من وسائل الشرك، بل قد يصل الغلو إلى أن يكون شركا بالله – جل وعلا – وأن يصير ذلك القبر وثنا يعبد؛ فالغلو درجات، وقد تقدم في الأبواب قبله ذكر بعض صور هذا الغلو في القبور، وهنا بين أن الغلو يصل إلى أن تصير تلك القبور أوثانا تعبد من دون الله. وإذا قلنا: إن الغلو هو: مجاوزة الحد. فمعناه هنا في هذا الباب: هو مجاوزة الحد في الصفة التي ينبغي أن يكون عليها القبر؛ إذ صفتها في الشرع واحدة، ولم يأت عن الشارع دليل في تمييز قبور الصالحين عن غيرهم، بل الوارد وجوب أن تتساوى من حيث الصفة، فلا يفرق بين قبر صالح أو طالح؛ فالقبر إما أن يكون في ظاهر مسنما، وإما أن يكون مربعا، وهذه الصورة من حيث الظاهر واحدة.." (١)

". . . . .

ـــــ فعكفوا على قبره "، فهذا العكوف؛ لأجل أنه رجل كان ينفعهم، يلت السويق لهم، وهذا على قراءة ﴿أفرأيتم اللات والعزى﴾ [النجم: ١٩]

ووجه **المناسبة** ظاهر: من أن صلاح ذلك الرجل جعلهم يغلون في قبره كما قال: " فعكفوا على قبره ".

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص/٢٦٧

والعكوف على القبور يصيرها أوثانا، والعكوف معناه: لزوم القبر بتعظيمه، واعتقاد البركة، والثواب، والنفع، ودفع الضر، في لزومه، فهذا معنى العكوف.

" وعن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: «لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسرج» . رواه أهل السنن ": وجه الدلالة من الحديث ظاهرة: وهي أن النبي صلى الله عليه وسلم لعن المتخذين على القبور المساجد والسرج. أما اتخاذ المساجد على القبور فقد سبق الكلام عليه، وأما لعن المتخذين السراج على القبور: فلأنها وسيلة لتعظيم تلك القبور، ونوع من أنواع الغلو فيها، وقد كانت القبور المعظمة تسرج قديما، وتجعل عليها القناديل، أما في هذه الأعصار، فيجعلون عليها الأنوار العظيمة التي تبين أن هذا المكان مقصود، وأنه مطلوب الراغبين، ويجعلون لها من وسائل الإضاءة العصرية الحديثة ما يسطع الأبصار، ويغري الناس بتعظيمها وعبادتها. ولا شك أن هؤلاء ملعونون بلعنة رسول الله. فلا يجوز أن تتخذ السرج على القبور؛ لأن اتخاذ السرج على القبور من أنواع الغلو فيها؛ ولأنه يدعو إلى تعظيمها، وقد يؤول الأمر بعد ذلك إلى أن تتخذ آلهة وأوثانا تعبد مع الله جل وعلا.

هذا الباب من جنس الأبواب قبله الواردة في حماية النبي عليه الصلاة والسلام جناب التوحيد، وفي سده كل طريق يوصل إلى الشرك. وأتى الشيخ – رحمه الله – هنا بآية براءة، وهي قول الله تعالى: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم﴾ [التوبة: ١٢٨] [التوبة: ١٢٨]." [(١)]

". . . . .

ـــــ الله– جل وعلا– به فهؤلاء اتخذوهم طواغيت؛ لأنهم جاوزوا بهم حدهم. فهذا الشرح لمعنى ما ذكره الإمام ابن القيم –رحمه الله– من تعريف الطاغوت.

وقوله في الآية المتقدمة. (الطاغوت) يدخل فيه كل هذه الأنواع، أي الذين عبدوا، والذين اتبعوا، والذي أطيعوا.

ووجه مناسبة هذه الآية للباب، أن الإيمان بالجبت والطاغوت، حصل ووقع من الذين أوتوا نصيبا من الكتاب، من اليهود والنصارى، وإذا كان قد وقع منهم، فسيقع في هذه الأمة؛ لأن النبي –عليه الصلاة والسلام– أخبر أن ما وقع في الأمم قبلنا سيقع في هذه الأمة، كما قال في حديث أبي سعيد الآتي: «لتتبعن

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص/٢٧٣

سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه» فمثل بشيء صغير، وهو دخول جحر الضب- الذي لا يمكن أن يفعل- تنبيها على أن ما هو أعلى من ذلك سيقع من هذه الأمة، كما وقع من الأمم قبلنا. وقد حصل- كما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم فإن من هذه الأمة من آمن بالسحر، ومنهم من آمن بعبادة غير الله، ومنهم من أطاع العلماء والأمراء في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله، فكانوا بذلك متبعين سنن من كان قبلهم، وحصل منهم إيمان بالجبت والطاغوت كما حصل من الأمم قبلهم.

" وقوله تعالى: ﴿قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت﴾ [المائدة: ٦٠] [المائدة: ٦٠] على هذه القراءة (عبد الطاغوت) يكون الطاغوت مفعول (عبد) ، و (عبد) فعلا معطوفا على قوله: (لعن) ، كأنه قال بتقديم وتأخير: من." (١)

". . . . .

ـــــــ والأئمة المضلون يملكون زمام الناس، فيضلون الناس بالبدع وبالشركيات، ويحسنونها لهم حتى تغدو في أعينهم حقا، وكذلك أصحاب النفوذ وأصحاب الحكم فإنهم إذا كانوا مضلين فإن بيدهم الأمر الذي يجعلهم يفرضون على الناس أمورا ويلزمونهم بأشياء مضادة لشرع محمد صلى الله عليه وسلم من أمور العقيدة والتوحيد، ومن أمور السلوك والعمل، ومن أمور الحكم والتحاكم، وهكذا وقع في هذه الأمة ما خاف منه -عليه الصلاة والسلام-، فكثر الأئمة المضلون في الأمة: الأئمة المضلون من جهة الاتباع، والأئمة المضلون من جهة الطاعة.

قوله: «وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان» : هذا نص صحيح من رواية البرقاني في صحيحه. فهل المراد من قوله: «حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين» أن هذا الحي يترك بلاد المسلمين، ويذهب إلى أرض المشركين؟ أو أنه يلحق بالمشركين في الصفات والخصال؟ يحتمل هذا وهذا.

قوله: «وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان» الفئام، هي الجماعات الكبيرة، وهذا ظاهر **المناسبة** لقول الشيخ -رحمه الله- في الباب " باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان ".

قوله -عليه الصلاة والسلام- في هذا الحديث. «ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص/٢٨٧

خذلهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى» هذه الطائفة المنصورة هي التي قال فيها -عليه الصلاة والسلام- في حديث آخر.." (١)

". . . . .

ـــــ وهم أيضا الفرقة الناجية التي جاءت في حديث الافتراق، لأنها موعودة بالنجاة من النار، فهم موصوفون بالنصر، وموصوفون بالنجاة من النار، وموصوفون بالنصر على عدوهم بالحجة والبيان، وقد يكون مع ذلك نصر بالسيف والسنان ونحو ذلك.

هذا " باب ما جاء في السحر " **ومناسبة** ذكر السحر لكتاب التوحيد. أن السحر نوع من الشرك، وقد قال -عليه الصلاة والسلام-: «من سحر فقد أشرك» ، فالسحر أحد أنواع الشرك الأكبر بالله- جل وعلا- فمناسبته ظاهرة، لأنه مضاد لأصل التوحيد.." (٢)

". . . . .

ـــــ " ولهما عن ابن عمر -رضي الله عنهما- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن من البيان لسحرا» (١) .

المقصود بالبيان هنا: التبيين عما في النفس بالألفاظ الفصيحة البينة التي تأخذ المسامع والقلوب، فتسحر القلوب، فربما قلبت الحق باطلا، والباطل حقا، حتى يغدو قول ذلك الذي يعد من أهل البيان والفصاحة هو الحق، وأن ما لم يقله أو رده هو الباطل- في الظاهر، وفي ظن سامعيه-، وهذا ضرب من السحر؛ لأنه تأثير في النفوس بالألفاظ، وقلب الحق باطلا، والباطل حقا، فتأثيره خفي كتأثير السحر في الخفاء؛ ولهذا قال. " إن من البيان لسحرا".

والصحيح من أقوال أهل العلم: أن هذا ذم للبيان وليس مدحا له، قال. "إن من البيان لسحرا" على جهة الذم، وبعض أهل العلم يقول: إن ذاك على جهة المدح؛ لأنه يصل في التأثير إلى أن يؤثر تأثيرا بالغا كتأثير السحر في النفوس، والتأثير البالغ إذا كان من جهة البيان فإنه جائز، وهذا من جهة المدح له، وبيان عظم تأثيره. وهذا فيه نظر، لأنه لما جعل البيان سحرا علمنا أنه أراد ذمه؛ ولهذا أورده الشيخ -رحمه الله- في هذا الباب الذي اشتمل على أنواع من المحرمات.

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص/٢٩٢

(٢) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص/٢٩٤

فالذي يستغل ما آتاه الله- جل وعلا- من اللسان والبيان والفصاحة في قلب الباطل حقا وفي قلب الحق باطلا، هذا لا شك أنه من أهل الوعيد ومذموم على فعله؛ لأن البيان: يقصد به نصرة الحق لا أن يجعل ما أبطله الله- جل وعلا- حقا في أنفس الناس وفي قلوبهم.

" باب ما جاء في الكهان ونحوهم " هذا الباب أتى بعد أبواب السحر " لأن حقيقة عمل الكاهن أنه يستخدم الجن لإخباره بالأمور المغيبة في الماضي، أو الأمور المغيبة في المستقبل التي لا يعلمها إلا الله- جل جلاله-، فالكاهن يجتمع مع الساحر في أن كلا منهما يستخدم ؛الجن لغرضه ويستمتع بالجن لغرضه.

ومناسبة الباب لكتاب التوحيد: أن الكهانة استخدام للجن، واستخدام الجن كفر وشرك أكبر بالله- جل وعلا-؛ لأن استخدام الجن في مثل هذه الأشياء لا يكون إلا بأن يتقرب إلى الجن بشيء من العبادات، فالكهان لا بد – لكي يخدموا بذكر الأمور المغيبة لهم- أن يتقربوا إلى الجني ببعض العبادات، إما بالذبح، أو الاستغاثة، أو بالكفر بالله- جل وعلا- بإهانة المصحف، أو بسب الله، أو نحو ذلك من الأعمال الشركية الكفرية.

فالكهانة صنعة مضادة لأصل التوحيد، والكاهن مشرك بالله- جل وعلا-؛ لأنه يستخدم الجن ولا يمكن أن تخبره الجن بالمغيبات إلا إذا تقرب إليها بأنواع العبادات.

وكانت الكهانة منتشرة في بلاد العرب في الجزيرة وفي غيرها، والكهان أناس يدعى فيهم الولاية والصلاح، وأن عندهم علم ما مضى، أو عندهم علم المغيبات التي ستحدث للناس، أو تحدث في الأرض؛ ولهذا كانت العرب تعظم الكهان وتخاف منهم، وكانت العرب تعطي الكاهن أجرا عظيما لأجل ما يخبر عنه.

---

(١) رواه البخاري (٥١٤٦) ومسلم (٢٠٠٩) .." [1]

". . . . .

ـــــــ وذلك لأن كتابة (أبا جاد) والنظر في النجوم- يعني للتأثير- نوع من أنواع الكهانة، والكهانة محرمة وكفر بالله- جل وعلا-.

واعلم أن أصناف الكهانة كثيرة جدا وجامعها الذي يجمعها: أنه يستخدم الكاهن وسيلة ظاهرة عنده ليقنع السائل بأنه وصل إليه العلم عن طريق أمور ظاهرة كالنجوم، أو عن طريق الخط، أو عن طريق الطرق، أو

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص/٣١٤

عن طريق الفنجان، أو عن طريق الكف، أو عن طريق النظر في الحصى، أو عن طريق الخشب ونحو ذلك، هذه كلها وسائل يغر بها الكاهن من يأتيه، وهي في الحقيقة وسائل لا تحصل ذاك العلم، ولكن العلم جاءه عن طريق الجن وهذه الوسيلة إنما هي وسيلة لخداع الناس، ولكي يظن الظان أنها تؤدي إلى العلم وأن هؤلاء أصحاب علم وفن بهذه الأمور، وفي الواقع هو لا يتحصل على العلم الغيبي عن طريق خط، أو عن طريق فنجان، أو عن طريق النظر في البروج، أو نحو ذلك، وإنما يأتيه العلم عن طريق الجن، وهو يظهر هذه الأشياء حتى يحصل على المقصود كي يصدق الناس أنه لا يستخدم الجن، وأنه ولي من الأولياء، وإلا فكيف يستنتج المغيبات من هذه الأمور الظاهرة؟! ويوجد في بعض البلاد: كغرب أفريقيا وبعض شمالها وفي الشرق من يتعاطى هذه الأشياء، ويزعم أنه من الأولياء، ويقول: إن الملائكة تخبره بكذا، فهو لا يفعل الفعل إلا بإرشاد من الملائكة، فالذي يفعل هذه الأفعال من الأمور السحرية أو الكهانة يعتبر في تلك البلاد من الأولياء؛ ولهذا ترى بعض الشراح يذكر في مقدمة هذه الأبواب أن أولياء الله تعالى لا يتعاطون الشرك، ولا يتعاطون مثل هذه الأمور، فأولياء الله مقيدون بالشرع، وليسوا من أولياء الجن.

" باب ما جاء في النشرة " النشرة متعلقة بالسحر، وأصلها من النشر وهو: قيام المريض صحيحا، وهي: اسم لعلاج المسحور سميت نشرة؛ لأنه ينتشر بها أي يقوم ويرجع إلى حالته المعتادة.

وقول المؤلف -رحمه الله- هنا " باب ما جاء في النشرة "، يعني: من التفصيل، وهل النشرة جميعا- وهي حل السحر- مذمومة؟ أو أن منها ما هو مذموم، ومنها ما هو مأذون به؟؟ .

ومناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد ظاهرة: وهي أنه كما أن السحر شرك بالله- جل وعلا- يقدح في أصل التوحيد، وأن الساحر مشرك الشرك الأكبر بالله، فالنشرة التي هي حل السحر قد تكون من ساحر، وقد تكون من غير ساحر بالأدوية المأذون بها، أو الأدعية ونحو ذلك، فإذا كان من ساحر فإنها مناقضة لأصل التوحيد، ومنافية لأصله، **فالمناسبة** ظاهرة في الصلة بين هذا الباب وباب ما جاء في السحر، وكذلك مناسبتها لكتاب التوحيد؛ لأن كثيرين ممن يستعملون النشرة يشركون بالله- جل وعلا-. والنشرة قسمان: نشرة جائزة، ونشرة ممنوعة.

فالنشرة الجائزة: هي ما كانت بالقرآن، أو بالأدعية المعروفة. أو بالأدوية عند الأطباء، ونحو ذلك، فإن السحر يكون عن طريق الجن، -كما تقدم- ويحصل منه- حقيقة- إمراض في البدن، وتغيير في العقل والفهم، وإذا كان الأمر كذلك، فإنه تعالج بالمضادات التي تزيل ذلك السحر، فمما يزيله: القرآن الكريم،

والقرآن الكريم هو أعظم ما ينفع في إزالة السحر، وكذلك الأدعية، والأوراد، ونحو ذلك، مما هو معروف من الرقى الشرعية.." (١)

". . . . .

ـــــــ يكون إلا بشرك، والذي يأتي الساحر ويطلب منه حل السحر، فقد رضي قوله وعمله، ورضي أن يعمل به ذاك، ورضي أن يشرك ذاك بالله لأجل منفعته، وهذا غير جائز.

فتحصل من هذا أن السحر- نشرا ووقوعا- لا يكون إلا بالشرك الأكبر بالله - جل وعلا-، وعليه فلا يجوز أن يحل لا من جهة الضرورة، ولا من جهة غير الضرورة من باب أولى بسحر مثله، بل يحل وينشر بالرقى الشرعية.

هذا " باب ما جاء في التطير " سبق بيان أن الطيرة من أنواع السحر، ولهذا جاء المؤلف -رحمه الله- بهذا الباب بعد الأبواب المتعلقة بالسحر؛ لأنها من أنواعه بنص الحديث.

ومناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد: أن التطير نوع من الشرك بالله- جل وعلا- بشرطه، والشرك الذي يكون من جهة التطير مناف لكمال التوحيد الواجب؛ لأنه شرك أصغر.

وحقيقة التطير: أنه التشاؤم أو التفاؤل بحركة الطير من السوانح والبوارح، أو النطيح والقعيد، أو بغير الطير مما يحدث. فكانوا في الجاهلية إذا أراد أحد أن يذهب إلى مكان، أو يمضي في سفر، أو أن يعقد له خيارا، استدل بما يحدث له من أنواع حركات الطيور، أو بما يحدث له من الحوادث على أن هذا السفر سفر سعيد فيمضي فيه، أو أنه سفر سيئ وعليه فيه وبال فيرجع عنه. وعلى هذا فضابط الطيرة الشركية التي من قامت في قلبه وحصل له شرطها وضابطها فهو مشرك الشرك الأصغر، هو ما جاء في آخر الباب من قوله عليه الصلاة." (٢)

". . . . .

ـــــــ " وقول الله تعالى: ﴿ألا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ [الأعراف: ١٣١] [الأعراف: ١٣١] . هذا مقطع من آية في سورة الأعراف أولها: ﴿فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ألا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ [الأعراف: ١٣١]

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص/٣٢٥

(٢) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص/٣٣٢

يعني إذا أتاهم خصب وسعة وزيادة في الأرزاق ﴿قالوا لنا هذه﴾ [الأعراف: ١٣١] يعني: نحن المستحقون لها ﴿وإن تصبهم سيئة﴾ [الأعراف: ١٣١] يعني: أصابهم جدب، أو نقص في الأرزاق، أو بلاء، قالوا: هذا بسبب شؤم موسى ومن معه، فهم الذين بسببهم وبسبب أقوالهم وأعمالهم حصل لنا هذا السوء وهذه الويلات، فتطيروا بهم، يعني: جعلوهم سببا لما حصل لهم، قال- جل وعلا-: ﴿ألا إنما طائرهم عند الله﴾ [الأعراف: ١٣١] طائرهم، يعني: ما يطير عنهم من عمل صالح أو طالح، وأنهم يستحقون الحسنات أو يستحقون السيئات، كل هذا عند الله- جل وعلا-، أو أن معنى قوله ﴿ألا إنما طائرهم عند الله﴾ [الأعراف: ١٣١] يعني: أن سبب ما يأتيهم من الحسنات أو ما يأتيهم من السيئات، أن ذلك من جهة القضاء والقدر، فهو عند الله- جل وعلا-.

ومناسبة هذه الآية لهذا الباب: أن هذا التطير من صفات أعداء الرسل، ومن خصال المشركين، وإذا كان كذلك فهو مذموم، ومن خصال المشركين الشركية، وليست من خصال أتباع الرسل، وأما أتباع الرسل فإنهم يعلقون ذلك بما عند الله من القضاء والقدر، أو بما جعله الله –جل وعلا- لهم من." (١)

". . . . .

ــــــ ثواب أعمالهم أو العقاب على أعمالهم كما قال تعالى: ﴿ألا إنما طائرهم عند الله﴾ [الأعراف: ١٣١]

قوله تعالى: ﴿قالوا طائركم معكم﴾ [يس: ١٩] الآية، وهي من سورة يس، والذين تطيروا بأولئك هم المشركون أصحاب تلك القرية حيث قالوا: ﴿قالوا إنا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم﴾ [يس: ١٨] قال أتباع الرسل: ﴿طائركم معكم أإن ذكرتم﴾ [يس: ١٩] يعني: سبب وقوع السيئات عليكم، أو سبب قدوم الحسنات عليكم هو من عند أنفسكم، فالسوء الذي سينالكم والعقاب الذي سينزل بكم ملازم لكم ملازمة ما تتطيرون به من عمل سوء، ومن معاداة للرسل، وتكذيب للرسل، هذا ملازم لكم وستتطيرون به ﴿طائركم معكم﴾ [يس: ١٩] لأنه من جهة أنهم فعلوا السيئات وكذبوا الرسل وهذا سيقع عليهم وباله.

ومناسبة هذه الآيۃ للباب **كمناسبة** الآية قبلها من أن هذه هي قالة المشركين، وأعداء الرسل.

" عن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا عدوى، ولا طيرة، ولا هامة، ولا صفر» أخرجاه (١) زاد مسلم: «ولا نوء، ولا غول» (٢) .

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص/٣٣٧

(١) أخرجه البخاري (٥٧٥٧) ومسلم (٢٢٢٠) .

(٢) من رواية جابر (٢٢٢٢) .." (١)

". . . . .

ـــــ وقد أبطل قول المنجمين في أشياء كثيرة من الواقع ونحو ذلك كما في فتح عمورية في قصيدة أبي تمام المشهورة:

السيف أصدق أنباء من الكتب

. . . . وغيرها.

النوع الثالث مما يدخل في اسم التنجيم: ما يسمى بعلم التسيير، وهو أن يتعلم منازل النجوم وحركاتها، لأجل أن يعلم القبلة، والأوقات، وما يصلح من الأوقات للزرع وما لا يصلح، والاستدلال بذلك على وقت هبوب الرياح، وعلى الوقت الذي جرت سنة الله ألا ينزل فيه من المطر كذا، ونحو ذلك. فهذا يسمى علم التسيير، وقد رخص فيه بعض العلماء، وسبب الترخيص فيه: أنه يجعل النجوم وحركتها والتقاءها وافتراقها، وطلوعها أو غروبها، يجعل ذلك وقتا وزمنا، لا يجعله سببا، فيجعل هذه النجوم علامة على زمن يصلح فيه كذا وكذا، والله -جل وعلا- جعل النجوم علامات كما قال تعالى: ﴿وعلامات وبالنجم هم يهتدون﴾ [النحل: ١٦] فهي علامة على أمور كثيرة، كأن يعلم- مثلا- أنه بطلوع النجم الفلاني يدخل وقت الشتاء، فدخول الوقت ليس بسبب طلوع النجم، ولكن حين طلع استدللنا بطلوعه على دخول الوقت، وإلا فهو ليس بسبب لحصول البرد، وليس بسبب لحصول الحر، وليس بسبب للمطر، وليس بسبب لمناسبة غرس النخل أو زرع المزروعات ونحو ذلك، ولكنه وقت، فإذا كان على ذلك فلا بأس به قولا أو تعلما؛ لأنه يجعل النجوم وظهورها وغروبها أزمنة وذلك مأذون به.." (٢)

". . . . .

ـــــ وإذا قرأ هذه الصفحة وهو يعلم برجه الذي ولد فيه، أو يعلم البرج الذي يناسبه، وقرأ ما فيه، فكأنه سأل كاهنا، فلا تقبل له صلاة أربعين يوما، فإن صدق بما في تلك البروج فقد كفر بما أنزل على محمد، وهذا يدلك على غربة التوحيد بين أهله، وغربة فهم حقيقة هذا الكتاب- كتاب التوحيد- حتى عند أهل

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص/٣٣٨

(٢) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص/٣٤٥

الفطرة وأهل هذه الدعوة، فإنه يجب إنكار ذلك على كل صعيد وأن لا يؤثم المرء نفسه، ولا من في بيته بإدخال شيء من الجرائد التي فيها ذلك في البيوت؛ لأن هذا معناه إدخال للكهنة إلى البيوت، وهذا- والعياذ بالله- من الكبائر، فواجب إنكار ذلك وتمزيقه والسعي فيه بكل سبيل حتى يدحر أولئك؛ لأن أهل التنجيم وأهل البروج هم من الكهنة، والتنجيم له معاهد معمورة في لبنان وفي غيرها، يتعلم فيها الناس حركة النجوم، وما سيحصل بحسابات معروفة، وجداول معينة، ويخبرون بأنه من كان من أهل البرج الفلاني فإنه سيحصل له كذا وكذا، عن طريق تعلم وهمي يغرهم به رؤوسهم وكهانهم، فالواجب على طلبة العلم أن يسعوا في تبصير الناس بحقيقة ذلك في كلماتهم، وبعد الصلوات، وفي خطب الجمعة؛ لأن هذا مما كثر البلاء به، والإنكار فيه قليل، والتنبيه عليه ضعيف، والله المستعان.

هذا " باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء "، والاستسقاء بالأنواء هو نسبة السقيا إلى الأنواء، والأنواء هي " النجوم، يقال للنجم. نوء.

والعرب والجاهليون كانوا يعتقدون أن النجوم والأنواء سبب في نزول المطر، فيجعلونها أسبابا، ومنهم- وهم طائفة قليلة- من يجعل النوء والنجم هو الذي يأتي بالمطر كما سبق في حال الطائفة الأولى من المنجمين الذي يجعلون المفعولات منفعلة عن النجوم وعن حركتها.

فقوله -رحمه الله-: " باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء " يعني: باب ما جاء في نسبة السقيا إلى النوء، وعبر بلفظ الاستسقاء؛ لأنه جاء في الحديث "والاستسقاء بالنجوم ".

ومناسبة هذا الباب لما قبله من الأبواب: أن الاستسقاء بالأنواء نوع من التنجيم. لأنه نسبة السقيا إلى النجم وذلك أيضا من السحر؛ لأن التنجيم من السحر بمعناه العام.

ومناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد: أن الذي ينسب السقيا والنعمة والفضل الذي يؤتاه حين نزول المطر إلى النوء أو النجم. يكون قلبه ملتفتا عن الله- جل وعلا- إلى غيره، ومتعلقا بغيره، وناسبا النعم إلى غير الله- جل وعلا- ومعتقدا أن النجوم أسباب لهذه المسببات من نزول المطر ونحوه، وهذا مناف لكمال التوحيد، فإن كمال التوحيد الواجب يوجب على العبد أن ينسب النعم جميعا إلى الله وحده، وأن لا ينسب شيئا منها إلى غير الله ولو كان ذلك الغير سببا، فينسب النعمة إلى مسديها ولو كان من أجرى الله على." (١)

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص/٣٤٩

". . . . .

ــــــ كاره» (١) وجه الاستدلال من هذا الحديث قوله: " إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله ".

" من ضعف اليقين ": يعني من أسباب ضعف الإيمان، والذي يضعف الإيمان ارتكاب المحرمات؛ لأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، فدل على أن إرضاء الناس بسخط الله معصية وذنب ومحرم لأن هذا الذي أرضى الناس بسخط الله خافهم أو رجاهم، وهذا مناسبة إيراد الحديث في الباب.

" وعن عائشة -رضي الله عنها- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من التمس رضا الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس» رواه ابن حبان في صحيحه (٢) هذا جزاء الذي أفرد الله بعبادة الخوف وجزاء الذي لم يكمل التوحيد في عبادة الخوف، فالذي التمس رضا الله بسخط الناس عظم الله وخافه، ولم يجعل فتنة الناس كعذاب الله؛ بل جعل عذاب الله- جل وعلا- أعظم فخاف الله وخشيه وطمع فيما عنده، فلم يلتفت إلى الناس، ولم يرفع بهم رأسا، فكان جزاؤه أن رضي الله عنه، وجعل الناس يرضون عنه.

«ومن التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس» : لأنه ارتكب ذنبا بأن خاف الناس، وجعل خوفه من الناس سببا لعمل المحرم، أو ترك فريضة من فرائض الله؛ لهذا قال " من التمس رضا الناس بسخط الله " فكان جزاؤه أن سخط الله عليه، وأسخط عليه الناس.

مناسبة الباب لكتاب التوحيد أن التوكل على الله فريضة من الفرائض، وواجب من الواجبات، وأن إفراد الله - جل وعلا- به توحيد، وأن التوكل على غير الله شرك مخرج من الملة، والتوكل على الله شرط في صحة الإسلام، وشرط في صحة الإيمان فالتوكل عبادة عظيمة، فعقد المؤلف -رحمه الله- هذا الباب لبيان هذه العبادة.

وحقيقة التوكل على الله - جل جلاله-: أن يعلم العبد أن هذا الملكوت إنما هو بيد الله- جل وعلا- يصرفه كيف يشاء، فيفوض الأمر إليه، ويلتجئ بقلبه في تحقيق مطلوبه وفي الهرب مما يسوءه، يلتجئ في ذلك ويعتصم بالله - جل جلاله- وحده، فينزل حاجته بالله ويفوض أمره إلى الله، ثم يعمل السبب الذي أمر الله به " فحقيقة التوكل في الشرع تجمع تفويض الأمر إلى الله- جل وعلا-، وفعل الأسباب، بل إن نفس الإيمان سبب من الأسباب التي يفعلها المتوكلون على الله، بل إن نفس التوكل على الله- جل وعلا-

سبب من الأسباب، فالتوكل حقيقته في الشرع تجمع عبادة قلبية عظيمة، وهي تفويض الأمر إليه، والالتجاء إليه، والعلم بأنه لا أمر إلا أمره، ولا شيء إلا بما قدره وأذن به كونا، ثم فعل السبب الذي أوجب الله- جل وعلا- فعله أو

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٥ / ١٠٦ والبيهقي في شعب الإيمان (٢٠٣) .

(٢) أخرجه ابن حبان في الصحيح ١ / ٢٤٧ وابن أبي شيبة في المصنف ١٣ / ٤٣٦-٥٧٣.." (١)

". . . . .

_____ وجه الدلالة من الآية: أنه وصف المؤمنين بهذه الصفات الخمس وآخرها قوله: ﴿وعلى ربهم يتوكلون﴾ [الأنفال: ٢] وظاهر من دلالة الآية حيث قدم الجار والمجرور على أنهم أفردوا الله بالتوكل، فدل على أن هذه العبادات الخمس هي أعظم مقامات أهل الإيمان، وهذا ينبغي التنبه له، إذ كل أمور الدين والعبادات والفروع العملية التي يعملها العبد، إنما هي فرع عن تحقيق هذه الخمس التي جاءت في هذه الآية ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ [الأنفال: ٢] وهذه الصفة تجمع الكلمات الشرعية وتجمع الدين جميعا؛ لأن ذكر الله فيه القرآن وفيه السنة.

" وقوله: ﴿يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين﴾ [الأنفال: ٦٤] [الأنفال: ٦٤] يعني: كافيك الله وكافي من اتبعك من المؤمنين؛ لأن الحسب هو الكافي، والكلمة المشابهة لها (حسب) تقول: هذا بحسب كذا، يعني: بناء على كذا، وأما الكافي فهو (الحسب) بسكون السين.

ووجه مناسبة الآية لهذا الباب: أن الله حسب من توكل عليه، قال- جل وعلا-: ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾ [الطلاق: ٣] [الطلاق: ٣] فالله حسب من توكل عليه، فدل على أن الله -جل وعلا- أمر عباده بالتوكل عليه حتى يكون كافيهم من أعدائهم وحتى يكون -جل وعلا- كافي المؤمنين من المشركين، قال -جل وعلا-: ﴿يا أيها النبي حسبك الله﴾ [الأنفال: ٦٤] يعني: كافيك الله، ولهذا أعقبها المؤلف بالآية الأخرى وهي قوله -جل وعلا-:." (٢)

". . . . .

_____ وقد عقد الشيخ - رحمه الله - هذا الباب ليبين أن الحكم بما أنزل الله فرض، وأن ترك الحكم

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص/٣٧٢

(٢) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص/٣٧٨

بما أنزل الله وتحكيم غير ما أنزل الله في شؤون المتخاصمين وتنزيل ذلك منزلة القرآن أن ذلك شرك أكبر بالله – جل وعلا –، وكفر مخرج من ملة الإسلام.

قال الإمام الشيخ محمد بن إبراهيم – رحمه الله – في أول رسالته " تحكيم القوانين ": إن من الكفر الأكبر المستبين، تنزيل القانون اللعين، منزلة ما نزل به الروح الأمين، على قلب سيد المرسلين، ليكون حكما بين العالمين، مناقضة ومحادة لما نزل من رب العالمين. انتهى كلامه بمعناه.

فلا شك أن إفراد الله بالطاعة، وإفراده بالحكم، وتحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، كل ذلك يقتضي ألا يحكم إلا بشرعه؛ فلهذا كان الحكم بالقوانين الوضعية، أو الحكم بسواليف البادية، من الكفر الأكبر بالله – جل وعلا –، لقوله تعالى – هنا في هذه الآية –: ﴿ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت﴾ [النساء: ٦٠] [النساء: ٦٠]

فمناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد ظاهرة جلية، وهي: أن التحاكم إلى غير شرع الله قدح في أصل التوحيد، وأن الحكم بشرع الله واجب، وأن تحكيم القوانين، أو سواليف البادية أو أمور الجاهلية، مناف لشهادة. أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله؛ فإن من مقتضيات شهادة أن محمدا رسول الله أن يطاع فيما أمر، وأن يصدق فيما أخبر، وأن يجتنب ما عنه نهى وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع.." (١)

". . . . .

ـــــ بالأسماء والصفات؛ لأن معرفة الاسم والصفة يجعل العبد يراقب الله – جل وعلا – وتؤثر هذه الأسماء والصفات في توحيده وقلبه وعلمه بالله ومعرفته، كما سيأتي في تقاسيم الأسماء والصفات.

" وفي صحيح البخاري قال علي رضي الله عنه: " حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله؟ " (١) هذا فيه دليل على أن بعض العلم لا يصلح لكل أحد؛ فإن من العلم ما هو خاص، ولو كان نافعا في نفسه ومن أمور التوحيد، لكن ربما لا يعرفه كثير من الناس، وهذا من مثل بعض أفراد توحيد الأسماء والصفات كبعض مباحث الأسماء والصفات، وذكر بعض الصفات لله – جل وعلا – فإنها لا تناسب كل أحد حتى إن بعض المتجهين إلى العلم قد لا تطرح عليه بعض المسائل الدقيقة في الأسماء والصفات، ولكن يؤمرون بالإيمان بذلك إجمالا، والإيمان بالمعروف والمعلوم المشتهر في الكتاب والسنة، أما دقائق البحث في الأسماء والصفات فإنما هي للخاصة، ولا تناسب العامة والمبتدئين في طلب العلم؛ لأن منها ما يشكل، ومنها ما قد يؤول بقائله إلى أن يكذب الله ورسوله، كما قال هنا علي رضي الله عنه: " حدثوا

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص/٤٢٥

الناس بما يعرفون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله؟! "

فمناسبة هذا الأثر لهذا الباب: أن من أسباب جحد الأسماء والصفات أن يحدث المرء الناس بما لا يعقلونه من الأسماء والصفات؛ لأن عامة الناس عندهم إيمان إجمالي بالأسماء والصفات يصح معه توحيدهم وإيمانهم

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٧) .." (١)

". . . . .

ـــــ الأئمة كالخطابي وشيخ الإسلام في التدمرية: " أن القول في بعض الصفات كالقول في بعض " و " أن القول في الصفات كالقول في الذات يحتذى فيه حذوه وينهج على منواله " " ولما سمعت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الرحمن أنكروا ذلك فأنزل الله فيهم ﴿وهم يكفرون بالرحمن﴾ [الرعد: ٣٠] [الرعد: ٣٠] " (١) فإنكار الصفة أو إنكار الاسم بمعنى عدم التصديق بذلك هذا جحد، وهذا يختلف عن التأويل، فالتأويل والإلحاد له مراتب يأتي بيانها إن شاء الله تعالى.

هذا الباب من الأبواب العظيمة في هذا الكتاب وبخاصة في هذا الزمن، لشدة الحاجة إليه، وترجمه المصنف - رفع الله مقامه في الجنة - بقوله: " باب قول الله تعالى: ﴿يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها﴾ [النحل: ٨٣] فوصف الكفار في سورة النحل التي تسمى سورة النعم، وصفهم بأنهم يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها، وإنكار النعمة أن تنسب إلى غير الله، وأن يجعل المتفضل بالنعمة غير الذي أسداها وهو الله جل جلاله. فالواجب على العبد أن يعلم أن كل النعم من الله - جل وعلا - وأن كمال التوحيد لا يكون إلا بإضافة كل نعمة إلى الله - جل وعلا - وأن إضافة النعم إلى غير الله نقص في كمال التوحيد، ونوع شرك بالله جل وعلا؛ ولهذا تكون مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد: أن ثمة ألفاظا يستعملها كثير من الناس في مقابلة النعم أو في مقابلة اندفاع النقم وتكون تلك الألفاظ نوع شرك بالله - جل وعلا - بل هي شرك أصغر بالله - جل وعلا - فنبه الشيخ - رحمه الله - بهذا الباب على ما ينافي كمال التوحيد من الألفاظ، وأن نسبة النعم إلى الله - جل وعلا - واجبة.

قوله: ﴿يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها﴾ [النحل: ٨٣] أخذ بعض أهل العلم من هذه الآية أن لفظ (المعرفة)

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص/٤٣٩

يستعمل في القرآن وفي السنة غالبا فيما يذم من أخذ المعلومات كقوله – جل وعلا –: ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم﴾ [البقرة: ١٤٦] [البقرة: ١٤٦] ، وكقوله في هذه

---

(١) أخرجه ابن جرير في التفسير (٢٠٣٩٧) .." [1]

". . . . .

ـــــ فهذا الباب فيه بيان أن التنديد يكون في الألفاظ، والتنديد هنا المراد به: التنديد الأصغر الذي هو شرك أصغر في الألفاظ وليس التنديد الكامل الذي هو الشرك الأكبر.

" قوله – جل وعلا –: ﴿فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون﴾ [البقرة: ٢٢] [البقرة: ٢٢] : هذا عام يشمل اتخاذ الأنداد بالشرك الأكبر ويشمل أيضا اتخاذ الأنداد بأنواع الإشراك التي دون الشرك الأكبر؛ لأن قوله: (أندادا) نكرة في سياق، النهي فتعم جميع أنواع التنديد، والتنديد منه ما هو مخرج من الملة، ومنه ما لا يخرج من الملة؛ ولهذا ساق عن ابن عباس أنه قال: " الأنداد: هو الشرك، أخفى من دبيب النمل " فجعل مما يدخل في هذه الآية الشرك الخفي أو شرك الألفاظ التي تخفى على كثير من الناس.

ومناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد ظاهرة: من أن حقيقة التوحيد ألا يكون في الملة إلا الله – جل وعلا – وألا يتلفظ بشيء فيه جعل غير الله – جل وعلا – شريكا أو ندا له كمن حلف بغير الله أو كمن قال: ما شاء الله وشاء فلان، أو لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص، ونحو هذه الألفاظ.

قوله " لا تجعل فيها فلانا، هذا كله به شرك " يعني لا تقل: لولا الله وفلان، بل قل: لولا الله لحصل كذا، هذا هو الأكمل، فالذي ينبغي في استعمال هذه الألفاظ أن تنسب إلى الله، فظهر لنا هنا أن ثمة: درجتين كاملة، جائزة، وغير ذلك لا يجوز:

فالدرجة الأولى – وهي الكاملة –: أن يقول: لولا الله لما حصل كذا.." [2]

". . . . .

ـــــ تأتي بشيء، وإنما الذي يفعل هو الله – جل وعلا – في هذه الأزمنة؛ ولهذا كان سب هذه السنين سبا لمن تصرف فيها، وهو الله جل جلاله –؛ لهذا عقد المؤلف هذا الباب ليبين أن سب الدهر ينافي كمال التوحيد، وأن سب الدهر يعود على الله – جل وعلا – بالإيذاء؛ لأنه سب لمن تصرف في هذا

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص/٤٤٤

(٢) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص/٤٥٤

الدهر.

فمناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد ظاهرة: وهو أن سب الدهر من الألفاظ التي لا تجوز، والتخلص منها واجب واستعمالها مناف لكمال التوحيد، وهذا يحصل من الجهلة كثيرا، فإنهم إذا حصل لهم في زمان شيء لا يسرهم سبوا ذلك الزمان، ولعنوا ذلك اليوم، أو لعنوا تلك السنة، أو لعنوا ذلك الشهر، ونحو ذلك من الألفاظ الوبيلة، أو شتموا الزمان، وهذا لا شك لا يتوجه إلى الزمن؛ لأن الزمن شيء لا يفعل وإنما يفعل فيه، وهو أذية لله – جل وعلا –.

قوله: " باب من سب الدهر ": السب في أصله: التنقص، أو الشتم، فيكون بتنقص الدهر، أو يكون بلعنه، أو بشتمه، أو بنسبة النقائص إليه، أو بنسبة الشر إليه، ونحو ذلك، وهذا كله من أنواع سبه. والله – جل وعلا – هو الذي يقلب الليل والنهار.

قوله: " فقد آذى الله ": كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «يؤذيني ابن آدم؛ يسب الدهر وأنا الدهر أقلب الليل والنهار» ففيه رعاية للفظ الحديث.

وسب الدهر – كما ذكرنا – محرم، وهو درجات وأعلاها لعن الدهر؛ لأن توجه اللعن إلى الدهر أعظم أنواع المسبة وأشد أنواع الإيذاء، وليس من مسبة الدهر وصف السنين بالشدة، ولا وصف اليوم بالسواد، ولا وصف الأشهر." (١)

". . . . .

ـــــ بالشرع لجاز إطلاق الحكم على من يحكم بين المتخاصمين بالشرع، أما إطلاقه على الفاصل بين المتخاصمين بغير الشريعة فإن هذا مخالف للأدب.

فالواجب ألا يسمى أحد بالحكم أو الحاكم أو نحو ذلك إلا إذا كان منفذا لأحكام الله– جل جلاله–؛ لهذا قال سبحانه: ﴿وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها﴾ [النساء: ٣٥] [النساء: ٣٥] ، فسمى المبعوث من هذا وهذا حكما لأنهما يحكمان بالشرع، فالذي يحكم بما حكم به الله الذي هو الحكم يقال له: حكم لأنه حكم يحكم من له الحكم وهو الله– جل جلاله– فيسوغ إطلاق ذلك ولا بأس به؛ لأن الله– جل وعلا– وصف من يحكمون بشرعه بأنهم حكام وهم القضاة، فقال– جل وعلا– في سورة البقرة: ﴿وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون﴾ [البقرة: ١٨٨] [البقرة: ١٨٨] فقوله: ﴿الحكام﴾ [البقرة: ١٨٨] هو جمع الحاكم، وساغ إطلاق ذلك عليه؛ لأنه

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص/٤٦٨

يحكم بالشرع.

والمقصود أن من الأدب ألا يسمى أحد بشيء يختص الله- جل وعلا- به ولذلك أورد المؤلف هذا الباب إثر الباب الذي قبله، لأجل هذه **المناسبة**، فتسمية " ملك الأملاك " مشابهة لتكنيه " أبي الحكم " من جهة أن في كل منهما اشتراكا في التسمية، لكن فيها اختلاف من جهة أن " أبا الحكم " راجع إلى شيء يفعله هو، وهو أنه يحكم فيرضون بحكمه وذاك " ملك الأملاك " ادعاء ليس له شيء؛ ولهذا كان أخنع اسم عند الله جل جلاله.

هذا " باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول ".

التوحيد الخالص في القلب، بل أصل التوحيد لا يجامع الاستهزاء بالله- جل وعلا- وبرسوله وبالقرآن لأن الاستهزاء معارضة، والتوحيد موافقة ولهذا قال بعض أهل العلم: الكفار نوعان: معرضون كمن قال الله فيهم: ﴿بل أكثرهم ل ا يعلمون الحق فهم معرضون﴾ [الأنبياء: ٢٤] [الأنبياء: ٢٤] ، ومعارضون، وهم المجادلون، أو الذين يعارضون بأنواع المعارضات لأجل إطفاء نور الله، ومن ذلك الاستهزاء ونحوه.

فالتوحيد استسلام وانقياد وقبول وتعظيم، والهزء والاستهزاء بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول معارضة لأنه مناف للتعظيم، ولهذا كان كفرا أكبر بالله- جل وعلا-، إذ لا يصدر الاستهزاء بالله، أو برسوله صلى الله عليه وسلم، أو بالقرآن، من قلب موحد أصلا، بل لا بد أن يكون إما منافقا، أو كافرا مشركا.. " (١)

". . . . .

ـــــــ قوله: " باب من هزل " الهزل خلاف الجد، وصفته: أن يتكلم بكلام فيه الهزل والاستهزاء والعيب إما بالله أو بالقرآن أو بالرسول صلى الله عليه وسلم.

وقول الشيخ- رحمه الله- هنا: " باب من هزل بشيء " الباء هذه، هل هي التي يذكر بعدها وسيلة الهزل، أو الباء التي يذكر بعدها المهزول به؟ ؟ الظاهر هو الثاني، فعلى الأول يكون المعنى: أنه ذكر الله بشيء فيه هزل، وذكر الرسول بشيء فيه هزل، يعني: هزل، وهو يذكر هذه الأشياء.

وعلى الثاني يكون معنى: " من هزل بشيء فيه ذكر الله " أن المستهزئ به أو المهزول به هو ذكر الله، أو القرآن، أو الرسول، ومعلوم أن المعنى المراد هو الثاني لأن الشيخ يريد أن المستهزئ به هو الله، أو الرسول، أو القرآن، اتباعا لنص الآية.

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص/٤٧٨

فمناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد ظاهرة: وهو أن الهزل والاستهزاء بالله أو بالرسول أو بالقرآن مناف لأصل التوحيد، وكفر مخرج من الملة، لكن بضابطه الذي ذكرناه، وهو: أن الاستهزاء- وهو الاستنقاص واللعب والسخرية- يكون بالله- جل جلاله- أو يكون بالرسول صلى الله عليه وسلم أو يكون بالقرآن، وهذا هو الذي جاء فيه النص قال- جل وعلا-: ﴿ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون - لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم﴾ [التوبة: ٦٥ - ٦٦] [التوبة: ٦٥- ٦٦] ، فمن استنقص الله- جل وعلا-، أو هزل بذكره لله- جل وعلا-، يعني: حينما ذكر الله- جل وعلا- استهزأ وهزل ولم يظهر التعظيم." (١)

". . . . .

ـــــ وفي ختام هذه الأبواب أوصي المسلم بأن يكون حذرا من آفات اللسان، متثبتا فيما يتكلم به، وأن يعلم أن كل خير إنما هو من الله، وأنه لا حول ولا قوة إلا بالله، ولو سلبه الله العناية منه طرفة عين لهلك، ولكان من الخاسرين، فإن العبد أحوج ما يكون إلى الاعتراف بذنبه، والعلم بأسماء الله وبصفاته، وبآثار ذلك في ملكوته، وبربوبيته- جل وعلا- على خلقه، وبعبادته حق عبادته.

مناسبة هذا الباب للأبواب قبله: أن جميع الأبواب في معنى واحد، وهو أن شكر النعمة لله- جل وعلا- فيما أنعم به، يقتضي أن تنسب إليه- جل وعلا- وأن يحمد عليها، ويثنى عليه بها، وأن تستعمل في مراضيه- جل وعلا- وأن يتحدث بها، فالذي ينسب النعم إلى نفسه لم يحقق التوحيد؛ فإنه جمع بين ترك تعظيم الله- جل وعلا- وبين ادعاء شيء ليس له، وقد يعتقد في غيره أنه هو المنعم عليه، كقول القائل: لولا فلان لم يكن كذا، أو نحو تلك العبارات التي تدخل في قوله تعالى: ﴿فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون﴾ [البقرة: ٢٢] [البقرة: ٢٢]." (٢)

". . . . .

ـــــ " وعنه: سمو اللات من الإله، والعزى من العزيز وعن الأعمش: يدخلون فيها ما ليس منها ": وهذه مرتبة من مراتب الإلحاد في أسمائه؛ لأن الله- جل وعلا- له الأسماء الحسنى، فمن أدخل اسما لم يثبت في الكتاب والسنة أنه من أسماء الله فقد ألحد؛ لأنه مال وعدل عن الحق الذي يجب في الأسماء

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص/٤٨١

(٢) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص/٤٩٣

والصفات إلى غيره، والحق هو أن تثبت لله ما أثبته لنفسه، إذ لا أحد أعلم بالله من الله- جل جلاله وتعاظم شانه- وكذلك لا أحد أعلم من الخلق بالله- جل وعلا- من رسوله الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم. فمن أدخل فيها ما ليس منها فقد ألحد، كمن قال: إن من أسماء الله: الماكر، والمستهزئ، والصانع، وجعل ذلك من الأسماء الحسنى، فإن هذا لا يجوز، ومنها ما يجوز بتقييد في باب الإخبار، ومباحث هذا الباب طويلة لاتصالها بالأسماء والصفات وهي معروفة في مبحث توحيد الأسماء والصفات.

مناسبة هذا الباب للباب الذي قبله: أن ترك قول: السلام على الله، هو من تعظيم الأسماء الحسنى، ومن العلم بها، ذلك أن السلام هو الله- جل جلاله-، والسلام من أسمائه سبحانه وتعالى، فهو المتصف بالسلامة الكاملة من كل نقص وعيب، وهو المنزه والمبعد عن كل آفة ونقص وعيب، فله الكمال المطلق في ذاته، وصفاته الذاتية، وصفاته الفعلية- جل وعلا-،." (١)

". . . . .

ـــــ والسلام في أسماء الله معناه أيضا: الذي يعطي السلامة ويرزقها، وأثر هذا الاسم في ملكوت الله أن كل سلامة في ملكوت الله من كل شر يؤذي الخلق، فإنها من آثار هذا الاسم، فإنه لكون الله- جل وعلا- هو السلام فإنه يفيض السلامة على العباد.

إذا كان كذلك فالله- جل جلاله- هو الذي يفيض السلام، وليس العباد هم الذين يعطون الله السلامة، فإن الله- جل وعلا- هو الغني عن خلقه بالذات، والعباد فقراء بالذات، قال تعالى: ﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد﴾ [فاطر: ١٥] [فاطر: ١٥] ، فالعبد هو الذي يعطى السلامة، والله- جل وعلا- هو الذي يسلم؛ ولهذا كان من الأدب الواجب في جناب الربوبية وأسماء الله وصفاته أن لا يقال: السلام على الله، بل أن يقال: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، السلام على فلان وفلان، السلام عليك يا فلان، ونحو ذلك، فتدعو له بأن يبارك باسم الله (السلام) أو أن تحل عليه السلامة. فظهر بهذا أن وجه مناسبة هذا الباب للذي قبله ظاهرة. وأما مناسبته لكتاب التوحيد: فهي أن الأدب مع أسماء الله- جل وعلا- وصفاته ألا يخاطب بهذا الخطاب، وأن لا يقال: السلام على الله، لأن في هذا نقصا في تحقيق التوحيد، فتحقيق التوحيد الواجب ألا تقال هذه الكلمة؛ لأن الله غني عن عباده، والفقراء هم الذين يحتاجون إلى السلام.

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص/٥٠٩

في الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «كنا إذا كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة قلنا: السلام على الله من عباده السلام على فلان." (١)

". . . . .

ـــــ عليه أن ينيب وأن يستغفر وأن يقبل على الله. - جل جلاله- وقد قال سبحانه: ﴿وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى﴾ [طه: ٨٢] [طه: ٨٢] .

والشيطان يدخل على القلب، فيجعله يسيء الظن بربه- جل وعلا- وبقضائه وبقدره، وإذا دخلت إساءة الظن بالله ضعف التوحيد ولم يحقق العبد ما يجب عليه من الإيمان بالقدر والإيمان بأفعال الله- جل جلاله-؛ ولهذا عقد المصنف هذا الباب؛ لأن كثيرين يعترضون على القدر من جهة أفعالهم، ويظنون أنهم لو فعلوا أشياء لتغير الحال والله- جل وعلا- قد قدر الفعل وقدر نتيجته، فالكل موافق لحكمته سبحانه وتعالى.

" وقول الله تعالى: ﴿يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا﴾ [آل عمران: ١٥٤] [آل عمران: ١٥٤] وقوله: ﴿الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا﴾ [آل عمران: ١٦٨] [آل عمران: ١٦٨]

": تقدم أن قول (لو) في الماضي لا يجوز وأنه محرم ودليل ذلك واضح من الآيتين. **ومناسبة** الآيتين للباب ظاهرة: وهو أن التحسر على الماضي بالإتيان بلفظ (لو) إنما هو من خصال المنافقين قال- جل وعلا- عن المنافقين: ﴿يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا﴾ [آل عمران: ١٥٤] وقال: ﴿الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا﴾ [آل عمران: ١٦٨] وهذا في قصة غزوة أحد كما هو معروف، فهذا من كلام المنافقين، فيكون استعمال (لو) من خصال النفاق، وهذا يدل على حرمتها.." (٢)

". . . . .

ـــــ في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجزن، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن (لو) ، تفتح عمل الشيطان» : وجه **مناسبة** هذا الحديث: قوله: «وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت لكان كذا وكذا» و (لو) هنا كانت على الماضي، وقوله: (فلا تقل) نهي، والنهي للتحريم؛ وهذا لأنه سوء ظن؛ ولأنه فتح عمل الشيطان، فالشيطان يأتي المصاب فيغريه بـ (لو) حتى

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص/٥١١

(٢) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص/٥٣١

إذا استعملها ضعف قلبه وعجز، وظن أنه سيغير من قدر الله شيئا، وهو لا يستطيع أن يغير من قدر الله شيئا، بل قدر الله ماض؛ ولهذا أرشده عليه الصلاة والسلام أن يقول: «قدر الله وما شاء فعل» ؛ لأن ذلك راجع إلى قدره وإلى مشيئته، هذا كله من النهي والتحريم راجع إلى ما كان من استعمال (لو) أو (ليت) وما شابههما من الألفاظ في التحسر على الماضي، وتمني أن لو فعل كذا حتى لا يحصل له ما سبق، كل ذلك فيما يتصل بالماضي.

أما المستقبل كأن يقول: لو يحصل لي كذا وكذا في المستقبل، فإنه لا يدخل في النهي؛ لأنها حينئذ تكون للتعليق في المستقبل، وترادف (إن) .

فاستعمال (لو) في المستقبل الأصل فيه الجواز، إلا إن اقترن بذلك اعتقاد أن فعله سيكون حاكما على القدر كاعتقاد بعض الجاهليين، أنه إن حصل لي كذا فعلت كذا، تكبرا وأنفة واستعظاما لفعلهم وقدرتهم، فإن هذا يكون من المنهي؛ لأن فيه تجبرا وتعاظما، والواجب على العبد أن يكون ذليلا؛ لأن القضاء والقدر ماض، وقد يحصل له الفعل ولكن ينقلب على عقبيه كحال." (١)

". . . . .

ــــــ أسأل الله- جل وعلا- أن يغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا، وأن يجعل وسيلتنا التوحيد وأن يجعل وسيلتنا إليه الإخلاص، فإنا مذنبون، ولولا رحمة الله لهلكنا، اللهم فاغفر جما وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد: أن الله - جل وعلا - موصوف بصفات الكمال، وله - جل وعلا - أفعال الحكمة، وأفعال العدل، وأفعال الرحمة والبر، فهو سبحانه كامل في أسمائه، كامل في صفاته، كامل في ربوبيته، ومن كماله في ربوبيته وفي أسمائه وصفاته أنه لا يفعل الشيء إلا لحكمة بالغة، والحكمة هي: أنه - جل وعلا - يضع الأمور في مواضعها التي توافق الغايات المحمودة منها، وهذا دليل الكمال. فالله - جل وعلا - له صفات الكمال، وله نعوت الجلال والجمال، فلهذا وجب لكماله - جل وعلا - أن يظن به ظن." (٢)

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص/٥٣٢

(٢) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص/٥٣٧

". . . . .

ـــــ يتعلم، آثار ذلك في ملكوت الله، حتى لا يقوم بقلبه إلا أن الله جل جلاله – هو الحق، وأن فعله حق، حتى ولو كان في أعظم خطب، ولو أصيب بأكبر مصيبة، أو أهين بأعظم إهانة، فإنه يعتقد أن فيما أصابه حكمة، لتمام ملك الله – جل وعلا – وحكمته، وأنه يتصرف في خلقه كيف يشاء، وأن العباد مهما بلغوا فإنهم يظلمون أنفسهم، والله – جل وعلا – يستحق الإجلال والتعظيم، فخلص قلبك – أيها المسلم، وخاصة طالب العلم – من كل ظن سوء بالله – جل وعلا –، فلا تظنن في أمر قدر الله وجوده أن غيره أفضل منه، وأن عدم حصوله أصلح، ولا في أمر قدر الله عدم كونه أن وجوده أولى، فإن كل ذلك سوء ظن بالله – جل وعلا –؛ ولهذا قال العلماء في معنى قول النبي – صلى الله عليه وسلم: «إياكم والحسد، فإنه يأكل الحسنات، كما تأكل النار الحطب» (١) سبب ذلك أن الحاسد ظن أن من أعطاه الله – جل وعلا – هذه النعمة فإنه لا يستحقها، فحسده وتمنى زوالها عنه، فصار في ظن سوء بالله – جل وعلا – ولهذا أكل ظنه حسناته، كما أكلت النار الحطب، نسأل الله – جل وعلا – السلامة والعافية من أن نظن بالله – جل وعلا – غير الحق، ونسأله أن يجعلنا من المعظمين له، ومن المجلين لأمره ونهيه، المعظمين لحكمته سبحانه وتعالى.

هذا " باب ما جاء في منكري القدر ". ومناسبة هذا الباب للذي قبله: أن إنكار القدر سوء ظن بالله – جل وعلا – ويكون هذا الباب كالتفصيل لما اشتمل عليه الباب الذي قبله.

ومناسبته لكتاب التوحيد ظاهرة: وهي أن الإيمان بالقدر واجب، ولا يتم توحيد العبد حتى يؤمن بالقدر، وإنكار القدر كفر بالله – جل وعلا – ينافي أصل التوحيد، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: القدر نظام التوحيد، فمن كذب بالقدر نقض تكذيبه توحيده. يعني: أن الإيمان بالقدر هو النظام، أي: السلك الذي تجتمع وتنظم فيه مسائل التوحيد حتى يقوم عقدها في القلب، فمن كذب بالقدر يكون قد قطع السلك، فنقض ذلك التكذيب أمور التوحيد، وهذا ظاهر؛ فإن أصل الإيمان أن يؤمن بالأركان الستة التي منها الإيمان بالقدر، كما ذكر ذلك الشيخ في حديث ابن عمر.

والقدر في اللغة: هو التقدير كما هو معروف، وهو وضع الشيء على نحو ما بما يريده واضعه، يقال: قدر الشيء تقديرا، وقدره قدرا وقدرا، وفي العقيدة عرفه بعض أهل العلم بقوله: إن القدر هو علم الله السابق بالأشياء، وكتابته لها في اللوح المحفوظ، وعموم مشيئته – جل وعلا – وخلقه للأعيان والصفات القائمة بها، وهذا التعريف صحيح؛ لأنه يشمل مراتب القدر الأربع. وهذه المراتب على درجتين: الدرجة الأولى:

ما يسبق وقوع المقدر، وذلك مرتبتان: الأولى: الإيمان بالعلم السابق، والثانية: الإيمان بكتابة الله – جل وعلا – لعموم الأشياء، كما قال صلى الله عليه وسلم: «إن الله قدر مقادير الخلق قبل

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٠٣) .." [1]

". . . . .

ـــــ يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء» (١) فقوله – صلى الله عليه وسلم: «إن أول ما خلق الله القلم قال له اكتب» يدل على أنه حين خلق الله القلم قال له: اكتب، والكتابة كانت بعد الخلق مباشرة، ودل الحديث الثاني على أن العرش كان سابقا، والماء كان سابقا أيضا؛ ولهذا فالقول الصحيح: أن العرش مخلوق قبل القلم، كما قال ابن القيم – رحمه الله – في النونية:

والناس مختلفون في القلم الذي ... كتب القضاء به من الديان

هل كان قبل العرش أو بعده ... قولان عند أبي العلى الهمذاني

والحق أن العرش قبل لأنه ... عند الكتابة كان ذا أركان

إلى آخر ما في هذا الباب من مباحث في الإيمان بالقدر.

هذا " باب ما جاء في المصورين "، والمصورون جمع تصحيح للمصور، والمصور: هو الذي يقوم بالتصوير، والتصوير معناه: التشكيل، تشكيل الشيء حتى يكون على هيئة صورة لآدمي أو لغير آدمي من حيوان، أو نبات، أو جماد، أو سماء، أو أرض، فكل هذا يقال له: مصور، إذا كان يشكل بيده شيئا على هيئة صورة معروفة، هذا من حيث المعنى، أما من حيث الحكم فسيأتي بيانه إن شاء الله.

وقوله: " باب ما جاء في المصورين " يعني: من الوعيد، ومن الأحاديث التي فيها أنهم جعلوا أنفسهم أندادا لله – جل وعلا –.

ومناسبة الباب لكتاب التوحيد: أن التوحيد هو ألا يجعل لله ند فيما يستحقه – جل وعلا –. والتصوير تنديد من جهة أن المصور جعل فعله ندا لفعل الله – جل وعلا –؛ ولهذا يدخل الرضى بصنيع المصور في قول الله – جل

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص/٥٤٦

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٥٣) .." (١)

". . . . .

ـــــــ وعلا: ﴿فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون﴾ [البقرة: ٢٢] [البقرة: ٢٢] ؛ إذ ذلك حقيقته أنه جعل هذا المصور شريكا لله - جل وعلا - في هذه الصفة، مع أن تصويره ناقص وتصوير الله - جل وعلا - على جهة الكمال، لكن من جهة الاعتقاد لما جعل هذا المخلوق مصورا، والله - جل وعلا - هو الذي ينفرد بتصوير المخلوقات كما يشاء، كان من كمال التوحيد أن لا يرضى بالتصوير، وأن لا يفعل أحد هذا الشيء؛ لأن ذلك لله - جل وعلا -، فالتصوير من حيث الفعل مناف لكمال التوحيد، وهذا هو **مناسبة** إيراد هذا الباب في هذا الكتاب.

والمناسبة الثانية له: أن التصوير وسيلة من وسائل الشرك بالله - جل وعلا - والشرك ووسائله يجب وصدها وغلق الباب؛ لأنها تفضي بالناس إلى الإشراك، **فمناسبة** الباب لكتاب التوحيد من جهتين: الجهة الأولى: جهة المضاهاة بخلق الله، والتمثل بخلق الله - جل وعلا - وبصفته واسمه.

والثانية: أنه وسيلة للإشراك، نعم قد لا يشرك بالصورة المعينة التي عملت، ولكن الصورة من حيث الجنس هي وسيلة - ولا شك - من وسائل الإشراك؛ فإن شرك كثير من المشركين كان من جهة الصور، فكان من تحقيق التوحيد ألا تقر الصور لأجل أن الصورة وسيلة من وسائل المشركين في عباداتهم.

" عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: «قال الله تعالى: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرة، أو ليخلقوا حبة، أو." (٢)

". . . . .

ـــــــ الكمال فيه والمستحب أن يخلص الموحد لسانه وقلبه من كثرة الحلف في الإكرام ونحوه بلغو اليمين.

فمناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد ظاهرة؛ وهي أن: تحقيق التوحيد وكمال التوحيد لا يجامع كثرة الحلف، فكثرة الحلف منافية لكمال التوحيد، والحلف - كما ذكرنا - هو تأكيد الأمر بمعظم، وهو الله - جل جلاله. فمن أكد وعقد اليمين بالله - جل وعلا - وأكثر من ذلك، فإنه لا يكون معظما لله - جل جلاله،

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص/٥٥٤

(٢) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص/٥٥٧

إذ الله – سبحانه وتعالى – يجب أن يصان اسمه، ويصان الحلف به واليمين به إلا عند الحاجة إليها، أما كثرة ذلك وكثرة مجيئه على اللسان، فهو ليس من صفة أهل الصلاح؛ ولهذا أمر الله – جل وعلا – بحفظ اليمين، فقال: ﴿واحفظوا أيمانكم﴾ [المائدة: ٨٩] [المائدة: ٨٩] ، وهذا الأمر للوجوب؛ لأنه وسيلة لتحقيق تعظيم الله - جل وعلا – وتحقيق كمال التوحيد، فقوله: ﴿واحفظوا أيمانكم﴾ [المائدة: ٨٩] هذا إيجاب لأن يحفظ العبد يمينه، فلا يحلف عاقدا اليمين إلا على أمر شرعي بين، أما أن يحلف دائما، ويجعل الله – جل وعلا – في يمينه، فهذا ليس من تعظيم أسماء الله – جل جلاله.

" عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: «الحلف منفقة للسلعة ممحقة للكسب» : وسبب ذلك أنه نوع عقوبة، فإن هذا الذي يبيع بالحلف فإنه تنفق سلعته، ولكن كسبه يمحق؛ لأن محق الكسب يكون نوع عقوبة لأجل أنه لم يفعل الواجب من تعظيم الله – جل وعلا –.

" وعن سلمان أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: «ثلاثة لا يكلمهم الله، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: أشيمط زان» : يعني من شمطه الشيب إذا." (١)

". . . . .

ـــــــ " عن عبد الله بن الشخير – رضي الله عنه – قال: «انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقلنا: أنت سيدنا، فقال: " السيد الله تبارك وتعالى "، قلنا: وأفضلنا فضلا، وأعظمنا طولا، فقال: (قولوا بقولكم أو بعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان» رواه أبو داود بسند جيد ". في هذا الحديث أن إطلاق لفظ السيد على البشر مكروه، ومخاطبته بذلك يجب سدها، فلا يخاطب أحد بأن يقال له: أنت سيدنا على جهة الجمع، وذلك لأن فيها نوع تعظيم من جهة المخاطبة، يعني: الخطاب المباشر، والجهة الثانية من جهة استعمال اللفظ، والنبي – عليه الصلاة والسلام – سيد كما قال عن نفسه: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر» (١) ولكن مخاطبته – عليه الصلاة والسلام – مع كونه سيدا كرهها ومنع منها، لئلا تؤدي إلى ما ہو أعظم من ذلك، من تعظيمه والغلو فيه عليه الصلاة والسلام، فهذه **مناسبة** الحديث لهذا الباب: أن في قوله عليه الصلاة والسلام: «السيد الله تبارك وتعالى» مع كونه عليه الصلاة والسلام سيد ولد آدم، ما يفيد أنه عليه الصلاة والسلام حمى حمى التوحيد، وسد الطرق الموصله للشرك، ومنها طريق الغلو في الألفاظ.

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص/٥٦٤

والقول للرجل بأنه سيد ونحو ذلك إذا كان على وجه المخاطبة له، والإضافة إلى الجمع، أشد وأعظم مما إذا كان بدون المخاطبة والإضافة إلى الجمع. ومما ذكر العلماء: أن قوله عليه الصلاة والسلام: «السيد الله تبارك وتعالى» يدل على أنه يكره كراهة شديدة أن يقال لبشر: إنه " السيد " هكذا

---

(١) أخرجه أحمد ٢ / ٥٤١ من حديث أبي سعيد الخدري وابن ماجه (٤٣٠٨) .." [1]

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص/٥٨٢